الباب الرابع

الجنس

الباب الرابع
الجنـــس

الجنس من الموضوعات التى تعالجها الأخلاق الاجتماعية سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وذلك لما للجنس والسلوك الجنسى من دور هام فى التأثير على النظم الاجتماعية لمجتمع ما، وعلى البناء الاجتماعى لهذا المجتمع. كذلك تشكل الأخلاق الجنسية جانباً كبيراً من الأخلاق الاجتماعية. فغالباً تتحدد معظم القواعد الأخلاقية السائدة فى مجتمع ما من خلال نظرة أفراده لموضوع الجنس، وتبعاً لكثرة أو قلة القيود المحددة للعلاقات الجنسية. كما يعتبر الجنس ذا صلة مباشرة بالظواهر الاجتماعية السائدة فى المجتمع، كالدين ونظام الزواج والعادات والتقاليد وأساليب الثقافة وطرق التربية، ويؤثر على هذه الظواهر ويتأثر بها، كذلك غالباً ما تتأثر العلاقات الجنسية بالنظام الاقتصادى والسياسى ودرجة التقدم العلمى فى هذا المجتمع.

ولقد بدأ الاهتمام بموضوع الجنس بعد ظهور نظريات التحليل النفسى، خاصة عندما حلل فرويد أثر الجنس فى تكوين العقد النفسية، فبدأت الدراسات النفسية والتربوية تهتم بدراسة تأثير الجنس وأخلاقياته على الفرد سواء من الناحية السيكولوجية أو من الناحية الفسيولوجية، كذلك تأثيره فى تكوين وتحديد ملامح الشخصية والاتجاهات والميول، الأمر الذى جعل دراسة الجنس وآثاره تشكل موضوعا علمياً قائماً بذاته، ولكن وبالرغم من ذلك فمازال الجنس وأخلاقياته موضوعاً مفروضاً على كل فيلسوف أخلاقى.

والواقع أن نظرة الفيلسوف الأخلاقى للجنس وأخلاقياته غالباً ما تتحدد طبقاً لمذهبه الفلسفى ونظرته للطبيعة الإنسانية، وعلى ذلك تزداد أو تقل القيود التى يطالب بها بالنسبة للعلاقات الجنسية، ولقد نظر رسل للجنس نظرة تحليلية اعتمد فيها على الدراسات الاجتماعية والانثروبولوجية، فانتهى إلى نسبية أخلاقيات الجنس واختلافها من عصر إلى عصر ومن مجتمع إلى آخر ومن طبقة إلى أخرى فى المجتمع الواحد. كما لم يتوقف عند حدود النظرة التحليلية وتحليل الواقع المادى للأخلاق الاجتماعية التى تتعلق بالجنس، بل استمر فى وضع تصور ما ينبغى أن تكون عليه الأخلاق الجنسية، إذا طالب بضرورة إقامة الأخلاق الجنسية على العلم، واقترب من المذهب النفعى فى الحكم على صواب أو خطأ أى قاعدة أخلاقية تتعلق بالجنس طبقاً لنتائجها، وأثرها على الفرد والمجتمع ومدى تحقيقها لتقدمه وسعادة أفراده.

الفصل الأول
أخلاقيات الجنس

تتأثر قواعد الأخلاق الجنسية بالعوامل الاقتصادية والدينية والسياسية والاجتماعية، وقد تميز القرن العشرين عن غيره من العصور بما حدث فيه من تطور سريع فى ميادين العلم المختلفة، وظهور المجتمعات الصناعية وانتشار الحركة الديمقراطية، فلقد كان لهذه المتغيرات تأثيرها المباشرة على الأخلاق الجنسية التقليدية وأدت إلى صعوبة تطبيقها، فلقد تغير مثلا وضع المرأة بسبب نزولها للعمل وحصولها على حريتها السياسية وظهور وسائل منع الحمل وتطور علم تحسين النسل، الأمر الذى أدى إلى صعوبة تطبيق الأخلاق الجنسية التقليدية، خاصة فيما يتعلق بالمحافظة على فضيلة المرأة وعفتها. وما زاد المشكلة تعقيداً أن المرأة قد تمادت فى طلب الحرية، وتحررت من سيطرة الرجل والدين، فأدى ذلك إلى انتشار الانحلال الخلقى واللاأخلاقية، لذلك يتصور رسل أن المجتمع الأوروبى أصبح الآن فى حاجة إلى أخلاق جنسية جديدة تضع فى اعتبارها هذه المتغيرات.

١ - تغير وضع المرأة:

لقد أدى تغير وضع المرأة إلى تحلل الأخلاق الجنسية التقليدية، ويرى رسل "أن وضع المرأة قد تغير فى العصر الحاضر بسبب ظهور وسائل منع الحمل وحصول المرأة على حريتها. وقد ظهرت الدعوة لحرية المرأة مع بداية انتشار الحركة الديمقراطية التى صاحبت الثورة الفرنسية، ومع النمو المتزايد للفكر الديمقراطى والزيادة المستمرة فى أعداد النساء اللاتى يكسبن قوتهن، بدأت الحركة النسائية تكسب صلابة، فأصبح من المستحيل عدم تحقيق مطالب المرأة. كما تحقق الاستقلال المادى للمرأة، أثناء الحرب العالمية بسبب توفر الأعمال التى كانت قصراً لى الرجال، فكان التصويت لصالح حريتها بسبب دورها فى الحرب، الأمر الذى كان مخيباً لأمال أصحاب النزعات المثالية، الذى كانوا قد تصورا، أن المرأة إذا ما تمتعت بالحرية سوف تنادى بالسلام وبأخلاقية السياسة[1].

(١) B.Russell : Marriage and Morals, (1929) George Allen and Unwin, London, 1976, PP. 58 - 59.

وكما تحررت المرأة سياسياً، استطاعت أن تتحرر اجتماعياً يقول رسل "كان الحفاظ على عفة المرأة وفضيلتها يمثل أهمية أخلاقية فى الماضى وإن تعددت الوسائل واختلفت من مجتمع لآخر، . ففى الشرق كان يطبق نظام الفصل بين البنين والبنات لتأمين عفتها وفضيلتها وكان يعتمد على وضع الضوابط الخارجية التى تحول دون وقوعها فى الرذيلة أما فى الغرب فقد كان الأمر مختلفاً حيث كان يعتمد على إكساب الفتاة نوعاً من الخلق الذاتى أو ضوابط داخلية تحول دون وقوعها فى الرذيلة، ووسيلة المربى لتحقيق هذه الضوابط الذاتية تقوم على الترهيب من الجنس وتكوين كراهية لاشعورية لكل ما هو جنسى. ولقد كان احتقار الجنس أمراً شائعاً بين النساء المحترمات، فكن ينظرن له باعتباره نوعاً من الواجبات الزوجية غير الممتعة التى لابد من احتمالها. والحقيقة أن المرأة كانت مشلولة الفكر بسبب مجموعة من المحرمات اللاشعورية التى تشكل نوعاً من القيود الخفية على فكرها. ولقد أدى تحلل تلك المحرمات فى العصر الحالى إلى ظهور الرغبات الغريزية التى كانت قد دفنت فى اللاشعور التزاماً بمبدأ الاحتشام والعفة، الأمر الذى كان له أثر خطير وثورى على الأخلاق الجنسية التقليدية، ولما كانت عفة المرأة واتجاهها نحو الفضيلة قائماً على الخوف من الجحيم أو من الحمل، وانتهى الخوف من الجحيم بتحلل الأفكار النظرية والدينية وتخصلت المرأة من خوفها من الحمل غير الشرعى باكتشاف وسائل التحكم فى الحمل، فإن الأخلاق الجنسية التقليدية فقدت صلابتها وتماسكها. كذلك ومما ساعد على سرعة تحللها ما سببته الحرب من مواقف وصدمات أزالت الكثير من قيودها[1].

٢ - المساواة بين الرجل والمرأة :

إن النتيجة اللازمة بالضرورة لتحرر المرأة وتغير وضعها الاجتماعى، هى المطالبة بتحقيق المساواة بينها وبين الرجل، الأمر الذى يضع الأخلاقيين فى موقف صعب، إذ يرى رسل "أن النتائج المنطقية لمطلب المساواة بين الجنسين. سوف تتمثل فيما يلى: إنه إن كان مسموحاً للرجل عملياً وليس نظريا بممارسة علاقات جنسية غير شرعية، وغير مطالب بالبكارة عند الزواج، ومسموح له أيضاً بعد الزواج بإقامة علاقات جنسية خارجية لايلام عليها طالما أن الزوجة والجيران لا يعلمون بها، وكان ذلك الوضع يعتمد بلا شك

---

(١) Ibid., P. 60.

على وجود نظام البغاء، فإن تحقيق مبدأ المساواة يتطلب حصول المرأة على نفس الحقوق، ولاشك فى أن الأخلاقيين سوف يرفضون ذلك وربما قليل منهم، سوف يقترح حصول المرأة على نفس حقوق الرجل، ويؤيدون قيام مؤسسات تضم مجموعات من الرجال، لإشباع رغبات النساء اللاتى يرغبن مثل أزواجهن فى أن يظهرن فاضلات فى العلن بينما هن دون ذلك. كذلك طبقاً لمبدأ المساواة، إذا كان الشاب يعانى التعاسة نتيجة للظروف الاقتصادية وتأخر سن الزواج، فإن الفتاة تعانى من نفس الإحساس، وإن كان من المستحيل عملياً أن يظل عفيفاً، فإن الفتاة يحق لها عدم المحافظة على عفتها وبكارتها، الأمر الذى يمثل انهياراً للأخلاق الجنسية التقليدية[1].

لذلك فإن تطبيق مبدأ المساواة بين الجنسين، سوف يجعل الأخلاق التقليدية التى تطالب بعفة المرأة تعانى من مشكلة التطبيق العملى لها، ويرى رسل "أن الأخلاقى التقليدى الذى يطالبه بعفة المرأة، سوف يجد نفسه مضطراً لعدم الموافقة على حرية المرأة أو مساواتها بالرجل، وبالسماح للشاب من ممارسة الجنس مع البغاء بدلاً من بنات طبقته. إن الأخلاقيين لم يفكروا بالطبع فى النتائج التى قد تترتب عن مطالبتهم بأخلاق يعرفون أنها لن تطاع أو تطبق، ويعتقدون أنهم طالما لا يؤيدون علانية نظام البغاء فإنهم غير مسئولين عن وجوده، ولا يدركون حقيقة ان نظام البغاء كان نتيجة حتمية لتعاليمهم، وذلك ليس ببعيد عنهم، طالما أن ضيق الأفق وضحالة الفكر سمة مميزة لهم[2].

والحقيقة أن نقد رسل للأخلاق التقليدية يعد نقدا للمذاهب المثالية فى الأخلاق، تلك التى تقوم على إخضاع الواقع للفكر ويقترب من الوضعيين فى مطالبته بضرورة ارتباط الأخلاق بالواقع، ولقد وضح أن حصول المرأة على حريتها وتحقيق مبدأ المساواة قد اعتمد فيما يبدو على العلاقة المنطقية الرياضية التى تسمى علاقة "واحد بواحد" حيث يرى إذا كان للرجل حق، فإن للمرأة نفس الحق، بمعنى أن المساواة تتطلب أن يكون لكل من الرجل والمرأة نفس الحق عند تشابه الظروف والأوضاع، إلا أن مثل هذه المساواة تغفل الفروق الفسيولوجية والطبيعية والسيكولوجية بين الرجل والمرأة فقد يكون تطبيق علاقة "واحد بواحد" فى الحقوق بينهما أقرب إلى الظلم منها للعدالة.

---

(١) Ibid., PP. 61-62.

(٢) Ibid., P. 63.

٢ - الحاجة إلى أخلاق جنسية جديدة :

إن التغير الذى طرأ على الحياة الاجتماعية فى المجتمع الأوروبى أصبح يتطلب البحث عن أخلاق جنسية جديدة تنظر للجنس نظرة علمية، لان استمرار الأخلاق الجنسية التقليدية سوف يؤدى إلى انتشار الانحلال الخلقى والفوضوية، ويرى رسل "إن تغير الظروف الاقتصادية وما نتج عنه من أوضاع اجتماعية جديدة، وتأخر سن الزواج وتحقيق المساواة بين الجنسين، كلها أمور تتطلب تساهل الأخلاق الجنسية التقليدية تجاه فضيلة وعفة المرأة، وإن كان من المسموح للرجل ممارسة الجنس خارج الزواج، فإنه من الضرورى أن تنال المرأة هذا الحق كذلك فى البلاد التى قد يزيد بها عدد الإناث على عدد الذكور بعملية حسابية بسيطة، لن تستطعن الزواج، لهذا فإنه سوف يحق للفتاة ممارسة الجنس دون علاقة زوجية، الأمر الذى سوف يتطلب عدم الاهتمام بعفتها. لأنه فى هذه الحالة تكون المطالبة بعفتها أمراً ظالما طالما أنها سوف تحرم من المتعة والخبرة الجنسية. وقد اقترح البعض حلاً لهذا الإشكال، إن إنجاب الأطفال يجب أن يتم من خلال الزواج فقط، أما الممارسات خارج الزواج يجب أن تستخدم فيها وسائل منع الحمل. ويجب أن يتعلم الرجل السماح بوجود العاشق، إلا أن تحقيق هذا الاقتراح يتطلب الثقة فى كفاءة وسائل منع الحمل، وصدق الزوجات وتلك أمور من الصعب تحقيقها، كما يرى البعض أنه من الممكن أن تقوم الدولة بواجبات الأب، وربما فى بعض الحالات التى قد يتأكد فيها الرجل من أبوته للطفل أو يغرم به، أن يقوم متطوعاً بواجبات الأب ويتحمل الأعباء الاقتصادية للطفل والأم ولكنه لايجبر على ذلك بقوة القانون. كذلك سوف يكون كل الأطفال فى نفس وضع اللقطاء، الأمر الذى سوف يسبب لهم مشكلات نفسية خطيرة. إذا لم تعتبر الدولة ذلك وضعاً طبيعياً[١].

أما فى حالة المطالبة باستمرار التمسك بالأخلاق الجنسية التقليدية فإنها سوف تواجه مشكلات فى التطبيق ويتصور رسل "أنه إذا كان من الضرورى إعادة تأسيس الأخلاق الجنسية التقليدية، فإن تربية الفتاة يجب أن تنشئها غبية وجاهلة ومؤمنة بالخرافة وتحرم

---

(١) Ibid., PP. 63 - 63.

قراءة كل الكتب التى تتناول موضوعات جنسية، كما يجب أن تتولى الشرطة منع الاختلاط بين الجنسين فتمنع الفتاة من العمل ولايسمح لها بالخروج من المنزل إلا برفقة الأم أو الخالة، كما يجب أن لايسمح القانون بامتلاك المرأة دون الخمسين سيارة خاصة وأن يقوم أطباء الشرطة بالكشف الطبى شهرياً على الفتيات غير المتزوجات فتسجن كل من فقدت بكارتها. ويمنع استخدام وسائل منع الحمل وتعتبر مناقشة الفتيات فى الأمور الجنسية انتهاكاً للقوانين وجريمة يعاقب عليها، كما يجب التأكيد على مبدأ اللعنة الأبدية للزانى، والحقيقة أن هذه الأمور إذا أمكن تطبيقها فى المائة سنة القادمة، ربما سوف تؤدى إلى القضاء على اللاأخلاقية، واعتقد لتفادى أى أخطاء وخيمة، يجب إخصاء كل رجال الشرطة والأطباء وأميل للاعتقاد، بأن الأخلاقيين سوف ينصحون بإخصاء كل الذكور باستثناء رجال الدين[1].

والحقيقة أن رسل وجه نقده للأخلاق التقليدية من منطلق التناقض بين الفكر والواقع أو بين المبدأ الخلقى وتطبيقاته وأرجع هذا التناقض لعدم ملاءمة الأخلاق للأوضاع الاجتماعية الجديدة فطالب بضرورة تغييرها، لذا اعتبر النظام الاقتصادى الجديد وما نشأ عنه من أوضاع اجتماعية. يستلزم وضع أخلاق جديدة. لأن الأخلاق التقليدية يستحيل تطبيقها، وانتشار الموجه اللاأخلاقية الحالية سوف تؤدى إلى نتائج سيئة، ولكن إذا تم توجيه النقد للنظام الاقتصادى، وتم التغلب على نتائجه بخطوات علمية مدروسة، كأن يتم مثلاً توفير الدولة لإمكانيات الزواج المبكر، فإن ذلك سوف يهدم الأساس الذى ارتكز عليه "رسل" فى نقده للأخلاق التقليدية، كذلك افترض رسل أن تحقيق المساواة بين الجنسين تتطلب تغيير الأخلاق الجنسية واعتبر عدم تمتع المرأة بالجنس نوعاً من الظلم خاصة فى مجتمع يزداد فيه عدد الإناث على عدد الذكور، . والواقع أن تحقيق مبدأ المساواة بين الجنسين لا يتطلب بالضرورة تخلى المرأة عن عفتها، لأن عفة المرأة الشديدة تعد من الغرائز وتخدم أغراض التناسل، ذلك أن تمنعها على استحياء يعين على الانتخاب الجنسى ويمكنها من التميز بين المحبين لاختيار ذلك الذى سوف يظفر بأن يكون أباً لأطفالها، كذلك بالنسبة للحب رأى كل من "مبروزووكيش وكرافت انيج" أن أربعين فى

(١) Ibid., PP. 64 - 65.

المائة من النساء يتمتعن بالبرود الجنسى، فالمرأة لا تنشد اللذة الحسية بمقدار ما تنشد الإعجاب الشامل، وكثيرا ما يرضيها مجرد اللذة بشعورها أنها مرغوبة[١].

وأما بالنسبة للمجتمع الذى يزيد فيه عدد الإناث عن الذكور لا يستتبع شعور الفتاة بالظلم، لأنها سوف تحرم الخبرة الجنسية فالواقع أنه بالرغم من وجود الدافع الجنسى لدى الفتاة إلا أنها لاتشعر بالمتعة الجنسية إلا من خلال الممارسة، الأمر الذى لن يسبب لها نوعاً من الإحساس بالظلم طالما أنها لم تمارسه فلن تستطيع تصور المتعة ولن تسعى للبحث عن اللذة، كذلك لن يعد ذلك حرماناً من حقوقها، لأنه إذا كان لها حق فإنه يتمثل فى المحافظة على كبريائها واستحيائها، لأن طبيعتها تختلف عن طبيعة الرجل، وقد أقرت الأديان حلا لمثل وضع هذا المجتمع، فالإسلام مثلا أباح تعدد الزوجات لعلاج مثل هذه المشكلات الاجتماعية، إلا أن رسل يقع فى أخطاء المستشرقين ولم يشر للحل الإسلامى لهذه المشكلة، وحتى عند تناوله للدين الإسلامى تخلى عن النظرة الموضوعية[٢].

٤ - علم تحسين النسل والأخلاق الجنسية :

يعتبر ظهور علم تحسين النسل من المبررات الضرورية التى تدعو لإقامة أخلاق جنسية جديدة، ويوضح رسل المشكلات التى تدور حول هذا العلم بقوله "إن علم تحسين النسل (الايوجينية) هو محاولة تحسين الصفات البيولوجية لسلالة ما، عن طريق استخدام الوسائل العلمية، وأساس قيام هذا العلم أن البشر مختلفون فى قدراتهم الفطرية والعقلية والجسمية والحقيقة أن هناك نزاعاً ما زال قائماً بين دعاة تطبيق هذا العلم وبين دعاة التربية. وعلى الرغم من عدم توفر معلومات كافية عن نتائج هذا العلم إلا أنه لا يمكن إغفال دور التربية فى تنمية أو كبت الاستعدادات الفطرية للطفل. كذلك لايمكن مجاراة دعاة تطبيق علم تحسين النسل بإضافتهم للبعد الاجتماعى إلى الجانب الفسيولوجى أو البيولوجى أو اعتبارهم الفقر مثل أمراً وراثياً، ويمكن القضاء عليه إذا تم تحسين سلالة الأغنياء بين الناس[٣].

---

(١) ول ديورانت. مباهج الفلسفة، جـ١، ترجمة د. أحمد فؤاد الأهوانى، الإنجلو المصرية. القاهرة، ٦ ١٩، ص١٨٢.

(٢) يمكن الرجوع لآراء رسل عن الدين الإسلامى فى برتراندرسل "تاريخ الفلسفة الغربية" ترجمه د. زكى نجيب محمود، لجنة التأليف والنشر، القاهرة ١٩٦٨، ص ١٨٥، وما بعدها

(٣) B. Russell Marriage and Morals. PP. 166-170.

ولعلم تحسين النسل نتائج إيجابية وأخرى سلبية، حيث يرى رسل أن العلم يقوم على فكرة التشجيع على إنتاج السلالة الأفضل والحد من إنتاج السلالات الضعيفة، لذلك قد ترى الدولة أن من حقها الحد من تناسل ضعاف العقول من الجنسين، وقد يسوء استعمال هذا الحق طالما أن بعض الدول تعتبر المعارضين لسياستها من ضعاف العقول. وإن كان من نتائج العلم الإيجابية تشجيع الأفراد الأفضل من حيث السلالة على إنجاب عدد كبير من الأطفال، فإن تطبيق ذلك فى مجتمع ديمقراطى يعد أمراً صعباً، كذلك مازال العلم يواجه صعوبة فى التطبيق بصورة عامة طالما أننا لانعرف نوع الإنسان الذى نرغبه.

إن قيام دولة ما باستخدام وسائل تحسين السلالة، سوف يجعلها ذات خطر مدمر على الدول الأخرى المحيطة بها، لأن أجيالها سوف يخضعون لسلطانها ويوظفون لخدمة أهدافها، لذلك سوف يؤدى تقدم علم تحسين النسل فى ظل الكراهية والتعصب إلى نتائج خطيرة ولما كانت الأخلاق الجنسية الحالية والتربية الجنسية الخاطئة مسئولة عن انتشار مثل هذه الكراهية، فإن الحاجة إلى أخلاق جنسية جديدة أصبحت أمراً ضرورياً[1]. ولكن على الرغم من هذه الصعوبات التى تواجه تطبيق علم تحسين النسل، و إلا أن نظرياته سوف تؤثر على الأخلاق الجنسية طالما أن النظريات العلمية أصبحت تفرض سلطانها على الإنسان.

اذا كانت للنظرة العلمية واعتبارات علم تحسين النسل المرتبة الأولى، فإنه من الممكن توقع اختفاء كل القيود التى كانت تحد من الممارسة الجنسية، كذلك لن يقيم رجل أو امرأة علاقة ما، دون النظر لما سوف تكون عليه ذريتهم فى المستقبل، فسوف توفر وسائل منع الحمل لكل منهما حرية الاختيار فى الإنجاب، وسوف يصبح من غير الضرورى اختيار المرأة الرجل الذى تحبه أبا لأولادها بل قد تختار الرجل الأفضل من وجهة نظر علم تحسين النسل زوجاً لها، ولذلك سوف تضع الأخلاق الجنسية فى اعتبارها مستقبلا، تحرر الحب من الارتباط بإنجاب الأطفال وسوف تضع تربية الأطفال مع انتشار علم تحسين النسل لتنظيمات علمية واعتبارات أخلاقية جديدة، وينتهى دور رجل الدين طالما أنه لن يؤثر

(١) Ibid., PP. 170 - 172.

على صحة وذكاء الطفل. والحقيقة أنه إذا كان السماح للعلم يعد أمراً كريها فى حد ذاته. إلا أن سيطرة العلم ماتزال أفضل وأقل من سيطرة الدين وسلطانه، وإن كان العلم لم تتحقق له السلطة المؤثرة فى نفوس الأفراد فى الوقت الحاضر، إلا أن مستقبل الأ جيال سوف يزيد من تأثيرها ويحقق له السيطرة الكاملة، الأمر الذى سوف يجعل دعاة الحرية مستقبلا يثورون ضد سيطرته، ولكن إذا كان لابد من وجود طاغية فإنه من الأفضل أن يكون طغيان العلم[1].

٥ - تعقيب:

١ - الحقيقة أن رسل استند فى ضرورة ظهور أخلاق جنسية جديدة من خلال تحليله للواقع المادى والاجتماعى للمجتمع الأوروبى، حيث انتهى إلى أن استمرار موجة اللاأخلاقية سوف يؤدى إلى نتائج سيئة، وإحياء الأخلاق الجنسية التقليدية أصبح أمراً من الصعب تحقيقه وأقرب إلى الاستحالة وينتهج رسل هنا منهجاً واقعياً جديداً حيث يطالب بضرورة ارتباط الأخلاق بالواقع، الأمر الذى يستدعى ضرورة تغيير القواعد الأخلاقية كلما تغير الواقع، ولكن لما كانت الأخلاق تبحث عما ينبغى أن يكون وتنشد المثل العليا دائماً، بالرغم مما قد يكون فى الواقع من قصور أو نقص، فإن حدوث طفرات وتغيرات فى الواقع لايعنى بالضرورة المطالبة بتغير هذه المبادئ والمثل العليا، فمثلاً إذا انتشرت الرشوة فى فترة ما نتيجة لعوامل اقتصادية كالفقر مثلاً، لايعنى ذلك ضرورة إعادة بناء الأخلاق من جديد أو مراجعة تصورنا لمعنى الرشوة. كذلك إذا انتشر الظلم مثلا فى فترة تاريخية لأسباب سياسية معينة، فلايعنى ذلك ان الإنسان يجب أن يراجع مفهوم العدالة، إن الحالات الجزئية على الرغم من كثرتها وتنوعها لاتصلح أن تكون معياراً للحكم بصحة أو خطأ مبدأ أخلاقى، وكما يرى أنصار الاتجاه الحدس فى الأخلاق إن قول الصدق واجب لأن الصدق فى ذاته فضيلة، وليس لأنه ضرورى لقيام المجتمع وكفالة سعادته، ذلك السرقة تعد شراً لأن فى طبيعتها صفة العدوان، وليست شراً لأنها تخلق بأحد ضرراً أو تعوق نفعاً[2].

٢ - يساير رسل نزعة الفلسفة الوضعية فى الأخلاق، ومحاولة إنكار التفكير

---

(١) Ibid., PP. 172 - 173.

(٢) د. توفيق الطويل أسس الفلسفة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٧، ص ٤٣٣.

الميتافيزيقى واللاهوتى فى كل مجالاته، لذلك طالب بضرورة تخليص الأخلاق الجنسية من سيطرة الدين والتفكير الخرافى، وأن يكون العلم هو المنبع الذى تستمد منه الأخلاق قواعدها، والواقع أن فصل الأخلاق عن اللاهوت قد ظهر عند فلاسفة من أمثال "بيرلافيت" و "ليفى بريل" من أنصار المدرسة الوضعية الاجتماعية، حيث رفض "ليفى بريل" القول بمعيارية الأخلاق وعمومية المثل العليا وانتقد الأخلاق التقليدية، ودعا لمعالجة الأخلاق بمنهج تجريبى، كما ظهرت الدعوة إلى فصل الأخلاق عن الدين عند أصحاب مذهب الحاسة الخلقية حيث أبعد "شافتسبرى" الأخلاق عن الدين المنزل بثوابه وعقابه وأقامها على حب الفضيلة لذاتها[1]. وبصرف النظر عن اختلاف رسل عن هؤلاء فى النتائج، إلا أن دعوته لفصل الأخلاق عن الدين ليست دعوة جديدة وإن كان قد أراد استبدال العلم بالدين.

٣ - لقد حمل رسل الأخلاق الجنسية التقليدية التى تستمد أصولها من الدين مسئولية انتشار الكراهية بين الأفراد وبين الدول، فاعتبر انفعالات مثل الحسد والقسوة وحب السيطرة ما هى إلا نتيجة للأخلاق الجنسية الحالية، والواقع إنه إذا كان رسل قد عد الأخلاق الجنسية مسئولة عن وجود هذه الانفعالات إلا أن إقامة الأخلاق الجنسية على العلم لن تؤدى إلى اختفائها فالانفعالات عنصر أصيل فى الإنسان كما يقول "اسبينوزا" ان انفعالات الكراهية والحسد إذا ما نظر إليها فى ذاتها، سوف نجد أنها تسير وفقاً لقوانين الطبيعة الضرورية وترتد إلى أسباب محددة تفهم من خلالها[2]، لذلك لانستطيع دون اتباع منهج علمى محدد رد انفعالات الحسد والقسوة والكراهية إلى التربية الجنسية التقليدية، أو مجرد التصور بأنها سوف تختفى بمجرد تغيير الأخلاق الجنسية الحالية.

٤ - والواقع أن ربط الأخلاق الجنسية بما يستجد فى العلم، أمر يرتبط بالنظرة الجزئية للأخلاق الجنسية، وإن كان يتوافق مع منطق ربطها بالواقع، فلما كانت النظريات العلمية قابلة للتغير بصورة دائمة وقد ينسخ بعضها بعضا، وليست قائمة على الصدق المطلق، وتستند إلى الاحتمالية، فإن ربط الأخلاق الجنسية بها سوف يجعل الأخلاق الجنسية

---

(١) د. توفيق الطويل، الفلسفة الخلقية، نشأتها وتطورها، منشأة المعارف، الاسكندرية، ص ٢٧١، ص ٢٧١، ١٦٥، ١٦٧.

(٢) د. فؤاد زكريا، اسبينوزا، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٢، ص ٢٧٢.

دائمة التغير ، وقد تختلف من دولة لأخرى ومن أسرة لأسرة، طالما أن الأفراد لايمكن أن تتحقق لهم ثقافة علمية بدرجة واحدة، وإن كان رسل قد طالب بأن يضع علماء الأخلاق النظريات العلمية التى قد تظهر فى ميدان علم تحسين النسل فى اعتبارهم، فإن مثل هذه الدعوة تتطلب ضرورة تغير الأخلاق الجنسية بتغير النظريات العلمية، والمشكلة أن تغير هذه النظريات العلمية يتأثر بها مجموعة من العلماء والباحثين ويمكن استيعابها بسرعة ويسر، أما تغير الأخلاق الجنسية فيؤثر على جميع أفراد المجتمع وأنظمته المرتبطة بالنظرة للجنس، وقد يحتاج لأكثر من جيل حتى يتم استيعابه والالتزام به، والحقيقة أن مثل هذا التغير الدائم للقواعد الأخلاقية سوف يفقدها عنصر الجزاء والإلزام، وقد يؤدى إلى التحلل الخلقى بصورة عامة.

الفصل الثانى
الجنس والدين

اتخذ رسل اتجاهاً تجريبياً استقرائيا فى دراسة الأخلاق الجنسية مثلما فعل فلاسفة الأخلاق التجريبيون والوضعيون والتطوريون، وسايرهم فى القول بنسبية القيم واختلاف الأحكام الخلقية باختلاف الزمان والمكان، ونقد الأخلاق المسيحية تجاه الجنس، واقترب من "نيتشه" فى مطالبته بضرورة إعادة النظر فى القانون الأخلاقى وهدم الأساس الدينى للأخلاق وإنكار وجود قيم مطلقة أو معايير ثابتة. حلل رسل السلوك الجنسى قبل وبعد ظهور الديانة المسيحية. وانتهى إلى أن نظرة الإنسان للجنس كانت تخضع لعوامل اقتصادية واجتماعية وسيكلوجية، إلى أن جاءت المسيحية وألزمت الفرد بمعتقدات ثابتة لايحق له تغييرها، بالرغم من تغير الواقع من حوله، لذلك أكد رسل على ضرورة فصل الأخلاق الجنسية عن الدين والنظر للجنس نظرة علمية.

١ - اهتمام الأديان بالجنس :

كان موضوع الجنس مثار اهتمام الأديان على اختلافها منذ القدم، ويرى رسل "أنه منذ ظهور النظرية الدينية لدى الإنسان ومعرفته أن هناك قوى خفية فى الكون يجهلها، سواء تمثلها فى السحر أو الخرافة أو الأسطورة، أو ما يسمى أديان إنسانية أو سماوية، أصبح كل ما هو غامض ومجهول يشكل محوراً للتصور الدينى، وسواء كانت هذه المسائل الغامضة تتعلق بالطبيعة وجوانبها أو بالإنسان نفسه، فقد كان الإنسان يلجأ للخرافة أو الدين للإجابة عليها. وبعد ظهور العلوم الطبيعية، بدأ الإنسان يعتمد على العلم للحصول على إجابات لتساؤلاته حول مسائل الطبيعة، بينما ظل يعتمد على الفلسفة والدين فى الأمور التى تتعلق بالطبيعة الإنسانية، ولما كانت الفلسفة أقل انتشاراً وتأثيراً على الفرد، فإن الغلبة كانت لإجابات الدين حول هذه التساؤلات. إلا أنه يجب التفرقة بين مرحلة نزول الأديان المسيحية وما قبلها لأن الإجابات فى مرحلة ما قبل نزول الأديان كانت تناسب الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للإنسان، وتتغير من فترة لأخرى حسب تغير هذه الأوضاع، وانطبق ذلك على الأخلاق الجنسية، فلقد كانت الأخلاق

الجنسية منذ فجر الحضارة الإنسانية مرتبطة إلى حد كبير بالأوضاع المادية، حتى جاءت الأخلاق المسيحية فأضفت على الأخلاق الجنسية نوعاً من التقديس، الأمر الذى جعلها تشكل قيوداً للسلوك الإنسانى، حيث ظل الإنسان ملتزماً بها، بالرغم من أنها لم تعد مناسبة لظروف العصر الحاضر[1].

بدأ اهتمام الدين بموضوع الجنس، مع بداية اكتشاف الأبوة ودور الرجل فى الإنجاب، ومع اكتشاف صلته بالزواج والأسرة والميراث، يقول رسل "فى المجتمعات الزراعية القديمة، كان نمو المحاصيل وكثرتها وزيادة النسل ذا أهمية للإنسان، . ولما كان الدين يهتم بالأمور الغامضة والهامة فى نفس الوقت، فقد كان الإنسان يلجأ إليه لتحقيق رغباته، والدين فى تلك المرحلة كان مرتبطاً بالسحر. وكان السحرة يعتقدون أن زيادة خصوبة الأرض ترتبط بخصوبة النساء، كذلك عند الأسر الحديثة نسبياً فى مصر القديمة أخذ العنصر الجنسى فى الديانة صورة عبادة الذكر، . وفى بلاد كثيرة كان يعتقد أن القمر هو الأب الحقيقى للأطفال، أما بعد اكتشاف دور الرجل فى الإنجاب تغيرت معتقدات كثيرة، وزاد اهتمام الدين بالجنس[2].

والحقيقة أن رسل انتهى فى تحليله لاهتمام الدين بالجنس، إلى أن الدين يهتم دائماً بالمسائل الغامضة، والتى تشكل فى نفس الوقت أهمية لحياة الإنسان العملية، والنتيجة المترتبة على ذلك، أنه إذا ما تم كشف هذه المسائل بطريقة علمية وضحت بها الأسباب والنتائج فإنها تخرج من نطاق الدين. وعلى ذلك طالما أن موضوع الجنس أصبح خاضعاً للعلم فلابد أن يخرج من نطاق الدين. والواقع أن اعتبار الدين لايهتم إلا بما هو غامض نظرة بها إغفال لدور الدين فى الحياة الإنسانية، فهناك من الأديان كالإسلام مثلاً قد ركز اهتمامه حول الواقع العلمى ومشكلاته وتنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع، ولما كان الجنس وأخلاقياته له تأثير على العلاقات الاجتماعية، فلابد أن يتناوله الدين بالتنظيم، إلا أنه أحياناً ما يحدث خطأ فى الفهم أو التفسير لما جاء به الدين حول موضوع الجنس.

٢ - النظرة للجنس قبل ظهور المسيحية :

قبل ظهور الأخلاق الجنسية المسيحية، كانت أخلاقيات الجنس تختلف من مجتمع لآخر، ومن فترة لأخرى، تبعاً لعوامل اقتصادية واجتماعية أو نفسية، فلقد كانت هناك

---

(١) B. Russell : Marriage and Morals. P.28.

(٢) B. Russell : Marriage and Morals. P.28.

مجتمعات تزداد بها الإباحية ولاتضع قيوداً على الحرية الجنسية للنساء، وذلك للاعتقاد بأن خصوبة الأرض مرتبطة بخصوبة النساء، ومجتمعات أخرى انتشر بها الزهد وسنت التشريعات التى تحد من الحرية الجنسية. كذلك فى فترات من التاريخ كان ينظر للجنس باعتباره من الرذائل. بينما فى فترات أخرى كانت الممارسة والحرية الجنسية تعتبر نوعاً من العبادة.. يقول رسل "لقد ظهرت فى بعض المناطق فى التاريخ القديم نظام البغاء المقدس، حيث كانت تذهب مجموعة من النساء المحترمات الفضليات إلى المعبد، ويمارسن الجنس إما مع الكاهن أو مع أحد الغرباء، وفى مناطق أخرى كانت الكاهنات أنفسهن يمارسن الجنس، وربما كان ذلك بسبب الاعتقاد بأن زيادة خصوبة المرأة من خلال الآلهة سوف يؤدى إلى خصوبة الأرض والمحاصيل، بينما من الملاحظ أينما كانت تنتشر الديانة البوذية، كان يسود الاتجاه نحو الحد من الممارسة الجنسية. خاصة بين الكهنة والكاهنات[1].

وكان للعوامل النفسية دوراً لا يقل أهمية عن دور العوامل الاقتصادية والاجتماعية فى التأثير على أخلاقيات الجنس، التى تسود مجتمعاً ما، أو فى الإتجاه إما إلى البحث عن اللذة الجنسية بشكل غير مألوف وإما إلى النفور والكراهية للجنس، ويوضح رسل ذلك بقوله "إن الأسباب التى تؤدى إلى كراهية الجنس والنفور منه، تتشابه مع تلك التى تؤدى إلى الاهتمام به والرغبة فيه بصورة غير مألوفة، والعلتان الرئيسيتان لمثل هذا النهج المضاد للجنس هما الغيرة والتعب الجنسى، فأينما توجد الغيرة يظهر لنا الفعل الجنسى منفراً وتخبو الرغبة الجنسية. فالرجل الشهوانى يتمنى أن يُرغب ويُحب من قبل كل امرأة، وإذا أحبت المرأة رجلاً آخر تتولد فيه أهواء شريرة خاصة إذا كانت المرأة زوجته، وعندما يكتشف خيانة الزوجة يشعر بالنفوز منها ومن عشيقها ويميل لاعتبار الجنس أمراً كريهاً ومنفراً ويزداد شعوره هذا إذا كان قد أصبح عاجزاً جنسياً، وطالما أن كبار السن فى معظم المجتمعات يتمتعون بوزن اجتماعى أكثر من الشباب، فإنه يصبح أمراً طبيعياً، أن يكون الرأى الصائب والمعترف به تجاه الأمور الجنسية ليس من نصيب الشباب، ولذلك توجد الأخلاق الجنسية المتزمتة والمنفرة من الجنس"[2].

---

(١) Ibid., PP. 30- 32

(٢) Ibid., PP. 31- 32

وأما ظاهرة التعب الجنسى فقد جاءت مع المدنية، لأنها لم تكن موجودة قديما بين الحيوانات أوالبشر، فلقد كانت المرأة حرة فى قبول أو رفض الجنس كما تفعل الحيوانات، ولم تكن تقبل السفاد قبل وجود الغزل، وإحساسها بأن الرجل يحبها ولديه دافع حقيقى، ومع التقدم والمدنية أصبح هذا السلوك الغريزى نادراً بسبب العوامل الاقتصادية حيث تأكدت حاجة المرأة لمن يعولها مادياً، وتشابهت الزوجات المحترمات والبغاء فى كسب قوتهن بالإغراء الجنسى، وبذلك قد يمارس الجنس على الرغم من عدم وجود الدافع أو الرغبة. وقد نتج عن هذا الوضع عدم الاهتمام بالمغازلة التى تعتبر الحاجز الطبيعى ضد الإحساس بالتعب الجنسى. كذلك من الملاحظ أن الفرد غير المتزمت جنسياً، يميل للمبالغة فى ممارسة الجنس، الأمر الذى ينتهى إلى التعب الجنسى والإحساس بالاحتقار والضعف والاتجاه نحو الزهد، والواقع أينما يوجد التعب الجنسى أو الغيرة، ينتشر الاتجاه الرافض للجنس[1].

والحقيقة أن رسل هدف من هذا العرض التاريخى لأخلاقيات الجنس إلى التأكيد على نسبية الأخلاق للجنسية وان نظرة المجتمعات للجنس تخضع لعوامل اقتصادية ونفسية، وذلك لكى يؤكد على ضرورة تغيير الأخلاق الجنسية الحالية، وإن الثبات ليس من صفاتها الجوهرية، إلا أنه فى تحليله لأسباب ظهور الاتجاه الرافض للجنس فى المجتمعات قد رده إلى أسباب نفسية، ومثل هذا التحليل النفسى لايبرر اتجاه بعض المجتمعات إلى كراهية الجنس ووضع أخلاقيات تحد منه، لأن من طبيعة الحالات النفسية أنها فردية وبالتالى لايمكن تعميمها على المجتمع. كذلك الاتجاه نحو الزهد والعزوبية أو كراهية الجنس، لايمكن رده فى جميع الحالات إلى التعب الجنسى والغيرة، فهناك عوامل عديدة كالفقر وعدم القدرة على تحمل تكاليف الزواج وصعوبة تربية الأطفال إلى آخر الأعباء الاقتصادية.

كما اعترض رسل على الأخذ بآراء كبار السن فى الموضوعات لأنهم غالباً ما يعانون من عجز جنسى، يدفعهم إلى كراهية الجنس والميل إلى وضع قيود حوله، ورغب رسل فى تحرير الشباب من سيطرة كبار السن، ولكن بالرغم من حق الشباب فى التحرر من

---

(١) Ibid., PP. 32- 33

سيطرة الكبار، إلا أن الشباب غالباً لاتتوفر لديهم الخبرة الكافية فى الأمور الجنسية. الأمر الذى لايؤهلهم للوصول إلى آراء صائبة فى هذه المسائل.

٢ - الأخلاق المسيحية تجاه الجنس:

اتخذ رسل موقفاً يقترب به من أصحاب الاتجاه الإنسانى والوجوديين، حيث يرى ضرورة تحرر الإنسان من الدين وسيطرته ومن التقاليد الموروثة، فقد اعتبر المذاهب الدينية المسيحية مسئولة عن انتشار التعاليم القاسية والقيود الصارمة حول الجنس، والتى تعد السبب الرئيسى فى معاناة الجيل الحاضر من الأمراض النفسية والعصبية، ويعرض رسل لهذه التعاليم بقوله "كان القديس «بولس» يرفض الهدف البيولوجى للزواج، ويرى أنه ليس ذا أهمية. فعالمنا زائل وهناك حياة أبدية أخرى، وحتى العلاقات الجنسية التى تتم فى إطار الزواج تقف عائقاً أمام "الخلاص" وإن كان فى مقدور المتزوجين الحصول على الخلاص فالزواج أخف من "الزنا" الذى يعتبر رذيلة أبدية. لذلك يعد الزواج وسيلة تمكن الفرد تجنب الإغراء ومقاومة الرغبة الجنسية، ونلاحظ أن القديس "بولس" لايرى فى الزواج أى جوانب إيجابية باستثناء أنه بديل للزنا، ولم يهتم بالأسرة، ويعتبر "الزنا" محور الأخلاق الجنسية. والواقع أن مثل هذه النظرة للجنس تتناقض مع الحقائق البيولوجية. ولايقرها إلا الفرد الجاهل أو المصاب بخلل عقلى. إن الأخلاق المسيحية تجاه الجنس، جعلت الديانة المسيحية على مر العصور سبباً فى الإصابة بالأمراض العقلية وبالملل من الحياة، حيث تركزت هذه الأخلاق على آراء القديس "بولس" وبالغت فيها، فاعتبرت العزوبية مقدسة ومجدت الزهد وقذارة الجسد، الأمر الذى أدى إلى ميل العلاقات الجنسية للقسوة والخشونة، وإهمال عاطفة المحبة فأصبح الزواج بهيمياً[١].

ويقارن رسل بين المذاهب الدينية المسيحية الثلاث محللاً موقف كل منها تجاه الجنس، فيرى أن المذهب "الأرثوذكسى" قد جعل الزواج وسيلة لإنجاب الأطفال وبديلا للزنا، الأمر الذى أدى إلى اعتبار العلاقة الجنسية فى الزواج، التى لا تؤدى إلى إنجاب الأطفال رذيلة، فالرغبة فى تكوين ذرية شرعية، تعتبر الدافع الوحيد الذى من أجله يوافق المذهب على إقامة العلاقة الجنسية، أما المذهب "الكاثوليكى" فيؤكد على الزهد، وعلى

---

(١) Ibid., PP. 41- 42

زيادة عدد النفوس فى العالم قدر الإمكان، وبذلك يصبح الزواج بديلاً للزنا، والنتيجة الطبيعية لمثل هذه التعاليم شعور الإنسان بالبؤس والتعاسة، ولكن طالما البؤس إراة الله فلابد من تحمله. وأما المذهب البروتستانتى فقد رفض مدح العزوبية وتقديس الزواج وسمح بالطلاق فى ظروف معينة وإن كان أيضاً مهتماً بالزنا. فمرتكبه يترك دون مساعدة ولا مجال لمغفرة أو توبة[1].

وتزداد المشكلة تعقيداً بسبب اكتساب هذه التعاليم الدينية صفة الثبات والانتشار بالرغم من نتائجها السيئة، لذلك لابد من إعادة فحصها. ويرى رسل "أن الأخلاق الجنسية المسيحية قد أصبحت سبباً رئيسياً فى ظهور أمراض نفسية وعصبية كثيرة، فأدت إلى تشويش موضوع الجنس وفساد العلاقة الزوجية وانحلالها. وكانت سبباً فى ظهور نظام البغاء، الذى يتعارض مع الغريزة الطبيعية الإنسانية، لذا لابد من إعادة فحص هذه الأخلاق دون التقيد بأى معتقدات سابقة. وأن نسأل لماذا ألغت الكنيسة الزنا؟ وهل هناك أسس صلبة لموقفها من الزنا؟ وإذا لم توجد مثل هذه الأسس، هل هناك أسباب أخرى غير تلك التى استندت إليها الكنيسة، قد تؤدى بنا لاتخاذ موقف مشابه لموقفها منه[2].

٤ - تعقيب:

١ - يعد نقد رسل للأخلاق المسيحية نقداً للأخلاق المثالية التقليدية بوجه عام، ويشبه ذلك النقد الذى سبق أن وجهه "أرسطو" "لأفلاطون"، حيث لايتصور أرسطو قيام الفضيلة إلا باجتماع العقل والشهوة، فالإنسان ليس عقلاً خالصاً أو حساً خالصاً. كما يتشابه موقف رسل مع ما ظهر فى علم النفس الحديث عن تكامل النفس البشرية، حيث رفض رسل الزهد وإماتت الشهوات واحتقار الجسد، وطالب بالاهتمام بالعالم الحسى وبرغبات الإنسان، ودعا إلى قيام أخلاق علمية، والحقيقة أنه بالرغم من دقة تحليل رسل للأخلاق الجنسية المسيحية، إلا أنه لم يكن محايداً فى تحليله، بقدر انحيازه للاتجاه التجريبى الوضعى، فلم يحلل أسباب التزمت الذى سيطر على الفكر الأخلاقى المسيحى تجاه الجنس. وإن كان قد أقر اعتبار المستوى الخلقى الرفيع للمسيحيين الأوائل سبباً رئيسياً

---

(١) Ibid., PP. 42-43

(٢) Ibid., PP 27, 43

فى انتشار المسيحية. حيث يقول "لقد كانت مبادؤهم الخلقية - يقصد المسيحين فى الأربع قرون الأولى للمسيحية - فيما يختص بالعلاقة الجنسية على درجة من الصرامة قل مثيلها فى العالم القديم، واعتقد أن "جبن" على صواب حين ينسب لهذا المستوى الخلقى الرفيع أهمية كبرى باعتباره سبباً من الأسباب التى أدت إلى انتشار المسيحية[1]. كما أهمل رسل التعرض للنزعات التحررية التى ظهرت داخل المسيحية ونادت بتطورها، فجاء نقده للأخلاق المسيحية الجنسية من الخارج وليس من الداخل، إذا لم يوضح مدى التناقض داخل الديانة ذاتها - كما فعل مفكرى الإسلام فى الرد على المسيحية - إنما جاء نقده لها من الخارج، حيث طابق الفكر بالواقع، ومثل ذلك النقد من الممكن توجيهه لأى فكر مثالى، ينادى بمثل عليا ثابتة، لأن الواقع دائم التغير وبالتالى فالتناقض بين الفكر المثالى والواقع العملى أمر حتمى.

٢ - ومن الواضح أن رسل التزم بنظريته الأخلاقية فى نقده للأخلاق الجنسية المسيحية، فطالما لا تؤدى هذه التعاليم الأخلاقية إلى تحقيق الإشباع وخير الفرد والمجتمع يجب إعادة فحصها، وطالما تؤدى إلى نتائج سيئة على الصحة النفسية للفرد، فإنها لم تعد صالحة ولقد اعتمد رسل فى دراسته لنتائج الأخلاق الجنسية المسيحية على نظريات علم النفس المعاصر. وتتفق وجهة نظره مع آراء علماء النفس المعاصرين من أمثال "هارفيلد" الذى خص الأخلاق بالكثير من الدراسات السيكلوجية، اعتقاداً منه بأن كل مرض نفسى ينطوى على نقص خلقى. إذ ينشأ عن الحيرة بين الاعتقاد فى مبدأ خلقى والانجذاب إلى هوى النفس[2].

٣ - إن نقد رسل للأخلاق الجنسية المسيحية يعتبر استمرار للثورة على الأخلاق التقليدية، تلك التى بدأها "جون ستيورات مل" ممثل المذهب النفعى، وكان مل قد ربط بين قواعد المسيحية التى أوصى بها المسيح وبين الأخلاق النفعية، وأكد أن القانون الأخلاقى الذى تلقيناه حق إلهى لامحالة، إلا أنه كان واضحاً شعوره بالقيم المألوفة فى عصره وتطلعه إلى تعديلها وإزالة النقص الذى يشينها، ولم يرفض القيم ولكن حاول

---

(١) برتراندرسل: تاريخ الفلسفة الغربية، جـ٢، ، ترجمة د. زكى نجيب محمود، لجنة التأليف والترجمة، ١٩٦٨، ص ٤٧.

(٢) د. توفيق الطويل، الفلسفة الخلقية، ص ٣٥٦.

تعديلها. فهناك استثناء عند تطبيق القانون الكلى على الحالات الجزئية. فإن كان الصدق يوصف بأنه فضيلة مثلى، إلا أنه يجب إباحة الاستثناء عن هذا المبدأ الكلى وفقاً للظروف التى توجب ذلك ويرتبط الاستثناء بمبدأ المنفعة الذى كان يعتبره محك لخيرية الأفعال وشريتها، ففى ضوء هذا المبدأ قد يباح الكذب أحياناً بشرط ألا يؤثر على قدسية المبدأ فى تصور الناس[1]، فلم يسع "مل" لهدم قيم أخلاقية. إنما استغل مبدأ المنفعة لتوكيد مبادئ الأخلاق وقيمها المألوفة، أما رسل فى ثورته على الأخلاق المسيحية فكان أكثر نقداً، حيث طالب بالبحث عن أصل هذه التعاليم الأخلاقية، وهل هناك أسس صلبة لإقرارها؟ كما طالب بإعادة النظر فى مقياس الرذيلة والفضيلة الذى وضعته الأخلاق المسيحية، وبذلك جاء موقفه من الأخلاق المسيحية مشابهاً لموقف "أوجست كونت" فى نقده للأخلاق المسيحية، حيث اعتبرها مسئولة عن تجمد العلم وتعثرت عن مسايرة التقدم. وانصراف من اتخاذها أساساً للأخلاق الجديدة، وتطلع لإقامة الأخلاق على أسس وضعية علمية[2].

(١) المرجع السابق نفسه، ص ٢٨٥

(٢) المرجع السابق نفسه، ص ٢٦٥

الفصل الثالث

الجنس والحياة

لقد أصبح الجنس من الموضوعات الهامة التى لم يعد فى مقدور فيلسوف يناقش مشكلات العصر الحاضر تجاهله، خاصة بعد توضيح علماء التحليل النفسى لتأثيره على سيكلوجية الفرد وعلى نظم المجتمع وأخلاقياته، كما تتمثل أهمية موضوع الجنس بأنه ذو صلة بجوانب الطبيعة الإنسانية كالجانب العقلى والوجدانى والفسيولوچى والأخلاقى، ولقد أدت التغيرات المتلاحقة للعصر الحاضر إلى تحلل الأخلاق الجنسية التقليدية. الأمر الذى يتطلب البحث عن أخلاق جنسية جديدة، تضع فى اعتبارها هذه المتغيرات، وتنظر للجنس نظرة موضوعية علمية. كذلك لابد من بحث وتحليل لعلاقة الجنس بعاطفة الحب لما بينهما من تأثير متبادل، فقد عانت عاطفة الحب من الغموض والرفض من جانب رجال الكنيسة. وظهر ما يسمى بالحب العفيف أو الرومانسى الذى أدى إلى حب مفتعل بين جانبى الإنسان المادى والروحى. فأصبح الجنس ينتمى للجسد والحب إلى الروح. وكان من نتائج هذا الفصل غير الطبيعى ظهور كثير من الانحرافات الجنسية والأمراض النفسية. كما تتطلب الدراسة الموضوعية للجنس، تحديد صلة الجنس بالغريزة وإلى أى مدى يعتبر الجنس أمراً غريزياً، وهل السلوك الجنسى يعد غريزياً؟ أم مكتسباً ولابد من تعلمه؟ لأن الإنسان غالباً ما يحيل الأمور التى يجهلها إلى الغريزة، الأمر الذى يجعل الجنس موضوعاً غامضا والبحث فيه ضرب من ضروب الميتافيزيقا. لذا أصبح من الضرورى لكل دراسة واقعية لموضوع الجنس أن تحدد علاقة الجنس بعاطفة الحب وإلى أى مدى يعتبر الجنس غريزياً.

١ - الجنس وعاطفة الحب:

تعتبر عاطفة الحب من العواطف الإنسانية الهامة، وغالباً ما ينظر إليها نظرة خاصة، يترتب عليها كثرة أو قلة القيود حولها، فالمثاليون ينظرون لعاطفة الحب على أنها من القيم الإنسانية ولها وجودها المستقل، والعقليون قد يعتبرونها من عوائق التفكير العقلى المجرد، والتجريبيون قد يرفضون اعتبارها عاطفة لها كيانها المستقل وأهميتها بين القيم الإنسانية. والحقيقة أن عاطفة الحب ترتبط بالجنس ارتباطاً شبه عضوى، وعلى الرغم من ذلك كان

يحدث فصل بينهما في بعض فترات التاريخ وفي بعض المجتمعات. ويرى رسل "أن معظم المجتمعات تنظر لعاطفة الحب باعتبارها مجرد محور تدور حوله القصص والمسرحيات والشعر، ولم يعتبر معظم علماء الاجتماع دراسة هذه العاطفة من المطالب الرئيسية للإصلاح الاقتصادي والسياسي. والواقع أن إهمال هذه العاطفة يعد سلوكاً خاطئاً لأنها تعتبر أحد الجوانب المؤثرة والهامة في الحياة الإنسانية والنظام الاجتماعي الذي يضع قيوداً غير ضرورية تحد من حريتها ونموها، يعد نظاماً سيئاً"[1]

وتعرف العاطفة بأنها مجموعة من الانفعالات والميول تدور حول موضوع ما، وغالباً ما ينظر إليها باعتبارها تتبع الجانب الوجداني أكثر من تبعيتها للجانب العقلي للإنسان، وقد يرى البعض أنها تتعارض مع الجانب العقلي، ويوضح رسل عاطفة الحب بقوله "عندما نستخدم كلمة "الحب" استخداماً صحيحاً، فإنها لن تشير إلى أي علاقة كائنة بين رجل وامرأة، بل فقط عندما تكون هذه العلاقة نفسية جسدية ووصلت إلى درجة معينة من الشدة. ولقد تكونت عاطفة الحب من خلال تجارب وخبرات كثيرة مر بها الإنسان، وكان شيوعها وسيادتها في مجتمعات عنها في أخرى، يعتمد على معتقدات وقيم أفراد هذه المجتمعات ونظمها[2].

ويقارن رسل بين نظرة بعض المجتمعات القديمة والحديثة لعاطفة الحب فيقول "لقد كانت عاطفة الحب نادرة في المجتمع الصيني، وتعتبر من صفات الامبراطور الفاسد الضعيف، حيث كانت الثقافة التقليدية الصينية ترفض العواطف القوية الجارفة. وترى ضرورة تحكيم العقل في كل المواقف. وكان المجتمع الأوروبي له موقف مشابه لتلك حتى بداية القرن الثامن عشر، إلا أنه بعد ظهور مذهب التحليل النفسي وإحداث الحرب العظمى بدأ الإنسان يدرك أن العقل قد فقد سيطرته. وباتت هناك موضوعات تقع خارج نطاق العقل في الحياة الحديثة كالدين والحرب والحب، حتى أن البعض قد اعتبر كون عاطفة الحب خارج نطاق العقل، يعني أنها تتعارض مع العقل، ولكن ذلك يعد تصوراً خاطئاً لأن الإنسان العاقل يشعر بالبهجة من وجودها[3]

---

(١) B. Russell Marriage and Morals, P.81.

(٢) Ibid, P 81.

(٣) Ibid, P 82.

ثم يحلل رسل العقبات التى تواجه عاطفة الحب فى العصر الحاضر، فيقول إنه من الملاحظ وجود صراع وتنافر بين عاطفة الحب والدين المسيحى فى العصر الحاضر، بسبب تمجيد الديانة المسيحية للزهد والعزوبية. كما أصبح العمل والنجاح المادى عدوا لعاطفة الحب خاصة فى الولايات المتحدة، حيث لايسمح للعواطف بوجه عام ولعاطفة الحب بوجه خاص. أن تتدخل فى العمل، ويتصف الفرد بالسخف والغباء إذا ما فعل، وبذلك يضحى بالتوازن الذى يعتبر ضرورياً لاستمرار الحياة الإنسانية. حقيقة قد يصبح من الغباء أن يُضحى بالعمل تماماً من أجل الحب. ولكن يعتبر أيضاً من الغباء أن يضحى بالحب من أجل العمل، ودائماً ما يحدث فى المجتمعات الرأسمالية، أن يكرس معظم الشباب وقتهم للعمل وتحقيق النجاح المادى، فيحدث نوع من الفصل بين الحب والعمل، ولذا ربما يشبع رغباته الجنسية مع البغاء، أما بعد الزواج وبسبب قضاء الشاب معظم وقته فى العمل، تصبح اهتماماته مختلفة تماماً عن اهتمامات زوجته، ويفقد التجانس معها، وتقل فرص المغازلة بينها، فتشعر الزوجة بالبرود الجنسى، ويعانى الشاب لاشعورياً من نقص فى الإشباع، فيجعل أسلوبه فى العمل سادياً وميالاً لمعاملة الذين يعارضونه معاملة جافة وقاسية، كذلك غالباً ما يؤدى نقص الإشباع إلى كراهية النوع الإنسانى واحتقاره، والواقع أن مثل هذه الحالة السيئة ترجع إلى التصور الخاطىء للجنس وفصله عن عاطفة الحب[١].

ومع انتشار الدعوة للحرية والاستقلال الفردى، بدأت تظهر عقبة جديدة أمام استمرار عاطفة الحب، إذ يرى رسل "أن معظم الناس فى العصر الحاضر يعتبرون الفردية غاية فى ذاتها، فيخاف كثير منهم فقدان استقلالهم الفردى بسبب الحب، الأمر الذى أدى إلى تصور تعارض بين عاطفة الحب واستغلال الفرد وحريته. والواقع أن هذه النظرة للفردية تجعل الذات تفقد اتصالها بالعالم والآخرين فالأطفال والحب والعمل تعد مصادر رئيسة لتنمية اتصال الفرد بالعالم. والحب يفقد قيمته إذا كان نوعاً من التملك. لأن قيمته الحقيقية فى شعورنا بأهمية من نحبه وفى احترامنا لرغباته ومشاعره[٢].

وأما العقبة الرئيسية التى تواجه عاطفة الحب فتتمثل فى حرية السفاد الجنسى التى انتشرت فى المجتمعات المتقدمة ويحلل رسل ذلك بقوله أن "المجتمعات الأكثر تحررا

---

(١) Ibid., PP.82-83.

(٢) Ibid., P. 86.

وتقدما، أصبح أفرادها لايعانون أى نوع من أنواع الكبت الجنسى فلايشعر الفرد بأى حائل أخلاقى يحد من إشباع أى رغبة جنسية طارئة. الأمر الذى يجعل الإنسان يتعود الفصل بين الجنس وعاطفة الحب، وربما يرتبط الجنس نتيجة للإجهاد بمشاعر الكراهية والحقيقة أن ممارسة الجنس دون عاطفة الحب، لايمكن أن يؤدى إلى إشباع حقيقى وكاف للغريزة[1]

ويرى رسل "ضرورة القضاء على تلك العقبات التى تواجه عاطفة الحب لأنها تعتبر ذات قيمة هامة للحياة الإنسانية. فالحب ليس مرتبطاً بالرغبة الجنسية فقط وإنما يعد أحد الوسائل الرئيسية للهروب من العزلة، والتى تكون سبباً فى معاناة الكثيرين من أمراض نفسية وعصبية. إن معظم الناس يعانون من إحساس بالخوف من العالم الخارجى ومن القسوة التى يتوقعونها من الجماعة. وغالباً ما توجد رغبة دفينة للحب وراء القسوة وغلظة القلب واستبداد الرجال وميل النساء لحب التأنيب، والحقيقة أن الحب الحقيقى يضع حداً لمثل هذه الأمور ويحطم القشرة الصلبة المحيطة بالذات الإنسانية، فيجعل شخصين يتألفان فى واحد. إن الطبيعة لم تصمم المخلوقات البشرية لكى يحيا كل فرد منها فى عزلة لأنها لاتستطيع أن تحقق غرضها البيولوجى دون تعاون كل فرد مع الآخر، والأفراد لايمكن أن يشبعوا غرائزهم الطبيعية دون عاطفة الحب، فلا تشبع الغريزة إلا إذا كانت العلاقة جسدية وعقلية. إن هؤلاء الذين لم يصادفوا علاقة حميمة صادقة فى حب متبادل، فقد فقدوا أفضل ما تقدمه الحياة، ويميلون للحسد والحقد والقهر والقسوة والاستعباد لذلك يجب أن نعطى لعاطفة الحب مكانها بين القيم الإنسانية، ويتناولها علماء النفس والاجتماع بالدراسة حتى يمكن أن نوفر لكل إنسان الشعور بالمحبة الفياضة تجاه الآخرين والعالم[2]

إلا أن رسل بعد توضيحه لقيمة الحب فى الحياة الإنسانية، يعود فيطالب بوضع قيود حول عاطفة الحب فى حالة وجود الأطفال، حيث يرى أنه بالرغم من قيمة الحب فى الحياة الإنسانية إلا أنه يؤدى إلى الفوضوية إذا ما ترك حراً دون قيود تحده، ولن يمكن الحد من تلك الفوضوية بقوة القوانين والتقاليد، ولاتعد فوضوية الحب أمراً خطيرا، ولكن

---

(١) Ibid., P 87.

(٢) Ibid., P 84.

بمجرد وجود الأطفال أو التفكير فى الإنجاب فإن الموقف يختلف، ويجب ألا تترك عاطفة الحب حرة أو متمتعة بالتحكم الذاتى، لأنها يجب أن تخدم الأهداف البيولوچية. لذلك لابد من وجود أخلاق اجتماعية تخص تربية الأطفال، وقادرة على الحد من الحب الطائش إذا ما تعارض مع وجودهم. والواقع أن مثل هذه الأخلاق، إذا ما قامت على العقل، فإنها سوف تقلل من الصراع بين الحب ووجود الأطفال، بل سوف يصبح الحب طعاماً لهم. لذلك فإن تأمين وسيلة للتحكم فى الحب عندما يتعارض مع وجود الأطفال وتربيتهم، يجب أن يكون الهدف الرئيسى لأى أخلاق جنسية عاقلة[١].

والحقيقة أن رسل اعتبر دراسة الحب من صميم عمل الفيلسوف، وبذلك يتفق مع اتجاه الفلسفة فى القرن العشرين حيث طرقت المشكلات الفلسفية من منظور جديد، وإن كان البعض قد أطلق على القرن العشرين اسم العصر الذرى، بينما سماه آخرون باسم عصر التقدم العلمى أو عصر التحليل، وذهب غيرهم إلى أنه عصر القلق أو التوتر النفسى، فإنه يمكن تسميته أيضاً بعصر الحب، ومن الواضح أن رسل يثق فى الحب ثقة لا حدود لها، فطالب بدراسة العاطفة وتحليلها لقيمتها بالنسبة للفرد والمجتمع. ولقد كتب فلاسفة كثيرون فى الحب، وكان لكل منهم لغته الخاصة، ويتناول الحب وتعريفه من منظور معين أو من لغة مختلفة. فهناك اللغة الصوفية بمعنى الفناء فى الذات الإلهية أو اللغة الاجتماعية التى تنظر للحب كوظيفة اجتماعية، وما الحب إلا سلوك اجتماعى يضطلع به حيوان مدنى، لا يملك إلا أن يعيش فى جماعة، كذلك هناك أنصار اللغة البيولوچية، لغة علماء الفسيولوچيا، الذين يرجعون هذه الوظيفة السيكولوچية إلى مجموعة من الغدد والإفرازات. أما اللغة الأخلاقية فينادى بها الوعاظ ورجال الدين الذين دأبوا على ربط الحب بالخطيئة ولا يكادون يرون من الحب سوى جانبه المحرم[٢]. ولقد رفض رسل هذه اللغة الأخلاقية للحب واقترب من اللغة الاجتماعية، حيث ربط بين الحب والزواج وإنجاب الأطفال واعتبرها عاطفة ضرورية لإتمام الزواج وتربية الأطفال.

---

(١) Ibid., P 87.

(٢) د. زكريا إبراهيم، مشكلة الحب، بيروت، سنة ١٩٦٣، ص٥، ٢٢، ٢٨

ولم يقدم رسل تعريفاً مانعاً جامعاً لعاطفة الحب كما يتطلب التحليل، لذلك نراه قد اعتمد على الحس العام أو المعنى الشائع لها، واقتصر على اعتبارها علاقة عاطفية ضرورية بين الرجل والمرأة، يجب أن يسمح لها النظام الاجتماعى بالاستمرار، وأن يخلصها من العوائق التى تحد منها. لأنها علاقة ضرورية لاستمرار بقاء النوع الإنسانى، ويجب تحريرها من كل القيود التى تحد منها سواء كانت دينية أو أخلاقية. ولكنه يعود ويطالب بوضع القيود عليها فى ظل أخلاق عقلية، خاصة فى حالة وجود أطفال، لأنها عاطفة فوضوية والواقع أنه ينظر تارة لعاطفة الحب على اعتبارها عاطفة جارفة لابد أن نخلصها من كل القيود التى تفرض حولها، سواء كان دينية أو اقتصادية وتارة أخرى يضحى بها ويرى أنه لابد من وضع القيود والحد منها من أجل حماية الأسرة من الانهيار، لأن استمرارها ضرورى لنمو الأطفال، لذلك لم يقدم رسل حلاً واقعياً لمشكلة الحب بقدر ما طالب بوضع قيود حوله، مع استبداله القيود الدينية أخرى أخلاقية تستند على العقل ولم يوضح رسل كيفية صياغة هذه القيود العقلية، والحقيقة أن سبب هذا التضارب بين إطلاق عاطفة الحب أو الحد منها، يظهر بسبب عدم التزام رسل بتعريف واضح للعاطفة، أو تحليل لمراحل تكوينها وعوامل فنائها، كذلك لم يوضح درجات العاطفة كالتعاطف والشفقة والصداقة كما، ويمكن تفسير هذا التضارب، بأن رغبة رسل الشديدة فى التشجيع على الإنجاب وتوفير المناخ المناسب لتربية الأطفال، أدت به إلى التضحية بالحب والمطالبة بوضع القيود العقلية حوله.

ويظهر الاتجاه النفعى واضحاً عند رسل فى تناوله لقيمة الحب، فاعتبرها نتاج لخبرة الجماعات الإنسانية، ووضح النتائج السيئة لاختفائها والنتائج الحسنة لنموها، كما أنه لم يعتبر الحب قيمة فى ذاته كما يراه أصحاب المذاهب المثالية، وإنما اعتبره ضرورياً لتحقيق الهدف البيولوجى للطبيعة وللقضاء على مظاهر القسوة والكراهية، ولتحقيق التعاون والاتصال بين أفراد المجتمع الإنسانى، فطبق قاعدة تشبه مبدأ "القاعدة والاستثناء" الذى قال به "جون ستيوارت مل" من النفعيين فالقاعدة تحرر من القيود أما الاستثناء يكون فى وضع القيود عليها فى حالة وجود الأطفال

٢ - الجنس والغريزة:

هناك اعتقاد شائع بأن للغريزة دوراً هاماً فى العلاقات الجنسية، فالسلوك الجنسى غريزياً، وليس هناك حاجة لتعلمه، ويجب أن نترك الطبيعة تقوم بدورها، لكن رسل

يرفض هذا الاعتقاد ويرى مع علماء النفس السلوكيين، أن الفعل الجنسى مكتسب وليس غريزياً وهناك حاجة ضرورية لتعلمه. يقول رسل "إن العنصر الغريزى يكون أقل بكثير مما يفترض فى العلاقات الجنسية، ولقد وضحت الدراسات الأنثربولوجية، أن هناك أفعالاً كثيرة تلقى قبولاً فى بعض المجتمعات بالرغم من تعارضها مع ما تعتبره غريزياً وقد استمرت هذه الأفعال زمناً طويلاً دون ظهور صراع بينها وبين الغريزة. فلقد كان من الأمور الشائعة ليس فقط فى المجتمعات البدائية ولكن أيضاً فى المجتمعات الحديثة نسبياً، فض بكارة الفتاة رسمياً بواسطة الكهنة، وكان فى معظم المجتمعات المسيحية ينظر لهذه العادة الدينية "فض البكارة" باعتبارها عادة غريزية، كما أن عادة إقراض الزوجة للضيف التى يعتبرها الأوروبيون مرفوضة غريزياً ما زالت منتشرة فى مجتمعات كثيرة وقد ينظر الرجل الأوروبى الجاهل لعادة تعدد الزواج على أنها ضد الطبيعة الإنسانية، كذلك من الملاحظ أن فى بعض المجتمعات كان قتل الأطفال يجد استجابة حيثما كانت هناك مزايا ومكاسب اقتصادية، فبالرغم من أن حب الطفل يعد من الأمور الغريزية إلا أن العامل الاقتصادى قد يطغى عليه[1].

وكما ظهر ما للعامل الاقتصادى من أهمية ودور فى فرض أفعال تتعارض مع ما نعتقد أنه من الأمور الغريزية فإن للعامل الاجتماعى دوراً لايقل أهمية، فمثلا يرى رسل "أن عاطفة الأبوة ليست غريزية لأن علاقة الأب بالابن علاقة غير مباشرة واستدلالية وترتبط بالمعتقدات الشائعة فى المجتمع. لذلك تنتمى إلى جانب ثقافى (بيئى) أكثر منه غريزى فكثير من القبائل البدائية، كانت العادات والتقاليد تفرض على الرجل التعاون مع زوجته فى تربية طفلها. بالرغم من غيابه أثناء حملها والطفل ليس من صلبه، لذلك من الملاحظ أنه فى كل العلاقات الإنسانية الهامة. غالباً ما تفرض الأخلاق الاجتماعية كثيراً من أنماط السلوك المرغوبة اجتماعياً، التى قد لا تكون الغريزة قوية وكافية لفرضها وغالباً لا يعترض الفرد على إلزامه بأفعال معينة، طالما كانت هذه الأفعال متوافقة مع الغريزة[2].

لذلك يرى رسل "أن الغريزة مبهمة وغامضة بصورة غير عادية، ويمكن أن تتحول عن دورها تبعاً لاهتمامات الإنسان والمجتمع، ومثل هذا التحول واضح فى المجتمعات

---

(١) B. Russell : Marriage and Morals,(1929) P.18.

(٢) Ibid., P. 18.

البدائية والحديثة على السواء، إذ كلمة "غريزة" من الصعب اعتبارها الكلمة الصحيحة لوصف شيء بعيد عن التحديد كالسلوك الإنساني في الأمور الجنسية، وإذ كنا لا نعرف كيف كان الفعل الجنسي عند البدائيين، إلا أنه من الضروري بالنسبة للشعوب المتحضرة، أن يتعلم الإنسان كيف يمكن القيام بالفعل الجنسي، فلقد أصبح من الأمور العادية، أن يلجأ بعض المتزوجين للأطباء، يشكون عدم الإنجاب، فيكتشف الطبيب من الفحص أن الزوجين لم يعرفا كيف يمارسان الفعل الجنسي. إن الفعل الجنسي ليس غريزياً، بالرغم من وجود ميل تجاهه ورغبة ليس من السهل إشباعها بدونه، فأول ما يشعر به الإنسان نوع من الحاجة أو الإحساس بعدم الرضا والإشباع، ويؤدي هذا الشعور إلى مجموعة متنوعة من الأنشطة، تكون عشوائية وقاصرة عن تحقيق الإشباع الكامل، ثم يتوصل تدريجياً وبالصدفة إلى نشاط معين من بينها يحقق له الإشباع والإحساس بالرضا، ويظل يكرر هذا السلوك بعد ذلك كلما شعر بالحاجة، وتبعاً لذلك فإن السلوك الذي قد يؤدي للإشباع الكامل لايمكن تحديده مسبقاً، وأن ما يعد غريزياً ليس هو النشاط النهائي الذي قد يكتسب بالتعلم، لذلك فإن ما يعد غريزياً هو الدافع أو الحاجة التي تؤدي إلى تعلم السلوك الذي قد يحقق إشباعاً[1].

والحقيقة أن رسل هدف من تحليل معنى "الغريزة" وتوضيح الصلة بين الغريزة والجنس، إلى إخراج الفعل الجنسي من مجال الغرائز واعتمد في ذلك على تحليل دقيق للرغبة أو الحاجة والسلوك المؤدي إلى إشباعها، ولقد اعتمد في تحليله على منهج السلوكيين الذين يمتدون السلوك إلى وحدات، ويردون جميع أنواع السلوك إلى الاكتساب والتعلم. كما هدف رسل من تحليل الغريزة إلى القضاء عليها وتحرير الإنسان من سيطرتها، ويتفق ذلك مع موقفه من حرية الإنسان، ورغبته في تخليصه من جميع القيود حتى تلك التي يظن أنها ضرورية للحفاظ على النوع. فالفعل الجنسي ليس غريزياً ولابد من تعلمه واكتسابه وبذلك يخرج من دائرة المحرمات والموضوعات التي ترفض مناقشتها، ويصبح السلوك الجنسي موضوعاً للدراسة للأولاد والبنات على السواء

---

(١) Ibid P 8

٣ - الجنس والبناء السيكولوجى للفرد:

بعد أن أظهر أصحاب التحليل النفسى أهمية الجنس فى البناء النفسى للفرد، وبعد أن رد "فرويد" كل سلوكيات الفرد وعقده النفسية إلى الجنس، أصبح ينظر للجنس كموضوع له أهميته الخطيرة، التى تتطلب أن ينظر إليها الأخلاقيون بعين الاعتبار. وبصرف النظر عن مدى صحة نظرية "فرويد" فى التحليل النفسى والجنس، أو غيره من السلوكيين، فلقد أصبح من الأخطاء التربوية إهمال المربى معالجة موضوع الجنس. فالجنس حاجة مثل الحاجات الأساسية الأخرى للحياة الإنسانية، يجب أن يتم إشباعها. والقوانين الأخلاقية التى لاتعامل الجنس باعتباره أحد المقومات الأساسية للحياة لن تكون ذا قيمة، لأن الرغبة الجنسية مثل الرغبات الأخرى تزداد بالكبت وتتلاشى بالحرية. إن عدم إشباع الرغبات الإنسانية الأساسية يؤثر على العقل والبناء النفسى للفرد، وإذا كان من الضرورى الحد من المبالغة فى إشباعها، فيجب ألا يكون ذلك بوضع الضوابط الأخلاقية أو باعتبارها من الرذائل.

ويرى رسل "أن الكنيسة تنظر للجشع باعتباره أحد رذائل سبع ووضع "دانتى" الإنسان الجشع فى الجحيم، ومع ذلك يظل الجشع من الرذائل التى يصعب تحديدها. طالما أنه من الصعب معرفة حدود تناول الطعام، ومتى يعتبر ما يزيد عنها ذنبا أو رذيلة. ولقد حاول البعض تفسير "الجشع" بقولهم: أنه يعد من الخطايا أن يأكل الإنسان شيئاً لا يؤدى إلى تنمية الجسم، ولكن إذا كان ذلك، فإن أكل "لوزة مملحة" يعد أمراً يستحق اللعنة. والواقع أن مثل هذه الأفكار والتفسيرات قد أصبحت مرفوضة، فإننا نعرف الشره عندما نراه، وقد نحتقره أو نشمئز منه، إلا أننا لا نعتبره فاجراً، ومن الملاحظ أن الانشغال والتفكير فى الطعام يكون نادراً بين هؤلاء الذين لم يعانوا الحرمان منه. إن معظم الناس يتناولون طعامهم ثم يفكرون فى أشياء أخرى حتى يحين موعد تناول الوجبة التالية. أما هؤلاء الذين انتهجوا الزهد وحرموا أنفسهم من كل شىء إلا القليل من الطعام والشراب، فغالباً ما يقعون فريسة لاستحواذ الطعام على تفكيرهم ولأحلام اليقظة حيث يتخيلون الطعام الشهى. ويظل المتصوف يخطط لما سوف يتناوله من الطعام فى الوجبة التالية[١].

---

(١) Ibid., P. 185.

ولما كان الحرمان من إشباع حاجة من الحاجات الأساسية للحياة الإنسانية، يؤدى إلى استحواذها على التفكير فيعطل كل جوانبه الأخرى، يرى رسل " أن على الأخلاقيين أن يعاملوا الجنس كما ينظرون للطعام، وأن الجنس حاجة إنسانية طبيعية مثل الحاجة للطعام والشراب، حقيقة أن الإنسان يستطيع أن يحيا بدونه، إلا أنه من الناحية السيكولوچية نجد الحاجة للجنس مشابهة تماماً للحاجة للطعام والشراب، تزداد بالمنع وتختفى بالإشباع، وعندما تظهر الرغبة الجنسية فإنها غالباً ما تؤدى إلى إغلاق العقل والاستحواذ على التفكير وتعطل كل الاهتمامات الأخرى. لأن التفكير فى إشباعها يقضى على كل اهتمام آخر. لذلك تعد الحرية هى الوسيلة الوحيدة والضرورية التى تمنع الاستغراق الجنسى وعدم استحواذ الجنس على العقل، بل ولن تتمكن الحرية من أداء دورها إلا إذا أصبحت عادة سلوكية ثابتة، وارتبطت بنوع من التربية العاقلة تجاه المسائل الجنسية. إن الإنسان المحروم من إشباع رغباته. أو المبالغ فى إشباعها، لايعتبر من الأسوياء، فالفرد الجشع أو الشهوانى أو الزاهد، يقع فريسة للتمركز حول الذات والاستغراق الذاتى وتصبح حياته وأفكاره محدودة، إما بكيفية تحقيق الإشباع أو بالكبت والحرمان أما الإنسان السوى والسليم من الناحية العقلية والبدنية فلن تصبح ذاته محور اهتمامه، وسوف ينفتح على العالم الخارجى فيهتم بموضوعاته التى يجدها تستحق الاهتمام، وإذا كان لإنسان اليوم، أن يتخلص من النظرة الذاتية ويهتم بالنظرة العامة، فذلك لا يكون بالمنع والكبت والحرمان من إشباع الغرائز الطبيعية ولكن بتوفير إمكانيات النمو المتوازن والمتساوى لكل الرغبات، لأن ذلك يعد عنصراً ضرورياً للسعادة[1].

٤ - تعقيب:

١ - إن الدعوة للحرية الجنسية دعوة قديمة ظهرت عند أصحاب مذهب اللذة من القورنائيين، حيث تساوى تلك الدعوة بين الإنسان والحيوان فى البحث عن لذته، وإن كان الإنسان قد مر فى تطوره من مرحلة الصيد إلى مرحلة الزراعة بفترات كانت عاطفة الحب والإباحة الجنسية أمراً شائعاً، إلا أن الإنسان أدرك بقيمة مثله العليا ضرورة تقييدها وإن كانت دعوة رسل للإباحة وحرية السلوك الجنسى متسقة مع آراء علماء النفس حول أهمية الجنس، ومع دعوة رسل للحرية بكل جوانبها، ومع رفضه للأخلاق المسيحية، إلا

(١) Ibid PP 186 187

أنه لايمكن اعتبارها دعوة للإصلاح بقدر ما هى تسليم بالأمر الواقع، ولما يحدث فى المجتمع الغربى الصناعى، بعد تحلل الأخلاق المسيحية وانتشار الحرية الجنسية حيث طالب رسل بدعوة علماء الأخلاق بوضع قوانين وقواعد أخلاقية جنسية تستند على العقل، وتنظر له باعتباره حاجة إنسانية لابد من إشباعها، ولم يحدد رسل نوعية هذه القوانين والمبادئ الأخلاقية العقلية، الأمر الذى يجعل دعوته أقرب إلى الإباحة الجنسية، والواقع كون هذه الدعوة للحرية الجنسية صالحة أو منظرة للواقع الغربى وظروفه وملابساته، إلا أنها ليست بالضرورة دعوى يمكن تطبيقها فى مجتمعات أخرى. أو تمثل حلا إنسانياً واقعياً لموضوع الجنس صالحا للتطبيق فى المجتمع الإنسانى، وبذلك لم يستطع رسل التخلص من التبعية لتلك الحضارة الغربية على الرغم من مخاطبة إنسان العالم ودعوته للعالمية.

٢ - تشبيه الحاجة الجنسية بالحاجة للطعام والشراب تزداد بالمنع والكبت وتختفى بالإشباع، تشبيه يغفل التعقيدات الكثيرة المرتبطة بموضوع الجنس، فالرغبة الجنسية لا تختفى بالإشباع بل غالباً ما تتجدد دائماً، فليس هناك حد للإشباع يستطيع أن يتوقف عنده الباحث عن الرغبة، وربما كان ذلك سبباً فى ظهور ظاهرة تعدد الزوجات فى فترة من فترات التاريخ الإنسانى، أو فى انتشار الإباحة الجنسية فى بعض المجتمعات. كذلك مقارنة سلوك الإنسانى الشهوانى أو الباحث عن اللذة بسلوك الإنسان الجشع، ليست مقارنة دقيقة تماماً، فالإنسان الجشع يرتد سلوكه إليه مباشرة بالدرجة الأولى، أو قد تتأثر صحته ويعانى الأمراض، أما الباحث عن اللذة فإن سلوكه غالباً ما يؤثر على المجتمع بوجه عام أخلاقياً واجتماعياً. وإذا ما ترك إشباع الرغبة الجنسية دون قيود والمطالبة بالإباحة والحرية الجنسية. فسوف يؤثر ذلك على نظام الزواج والأسرة وكل الأنظمة المتعلقة بالجنس. كذلك من الملاحظ أن الدافع الجنسى أصبح ينمو ويثار فى وقت مبكر نسبياً عما كان عليه قديماً بسبب وسائل الإعلام الأمر الذى سوف يجعل الإباحة مشكلة من أخطر المشكلات الاجتماعية وقد تؤدى إلى نتائج يصعب التحكم فيها.

٢ - إن الإباحة علاج فاسد اجتماعياً وسيكولوجيا، فمن المستحيل من الناحية الاجتماعية التسليم بالإباحة فى شأن الغريزة الجنسية، لأنه إذا كان الأمر متروكاً للغريزة الجنسية.، فإنه يجب أن نطلب الإباحة للغرائز الأخرى مثل غريزة العدوان، والتشجيع على الخوف تحقيقاً لغريزة حفظ الذات، والقوى يهزم الضعيف انتصارا لغريزة التملك،

وبذلك تصبح الحياة الإنسانية بدائية ويعود الإنسان لحياة الغابة كذلك ليس بالضرورة أن تكون الإباحية علاجاً للعقد النفسية الناتجة عن كبت الغريزة الجنسية، بل ربما تكون سبباً في ظهور أمراض نفسية أخرى مثل شعور الإنسان بالغثيان والسأم كما وضح في روايات البرتو مورافيا، بل قد نلاحظ أن أكبر نسبة انتحار في العالم ، كانت في مجتمعات تطلق فيها الحرية الجنسية.

٤ - لايشك إنسان عاقل في أن كبح جماح الشهوة بعد البلوغ أمر غير طبيعي فالكبت الجنسي يؤدي إلى أمراض عصبية ونفسية وانحرافات خلقية. ويعتبر قوة استحواذ على الجسم والعقل في هذه المرحلة، ولكن لايعالج ذلك الوضع بالحرية الجنسية، إنما بتقديم سن الزواج، دون النظر للاعتبارات المادية، ومن الملاحظ أن أديان كثيرة قد عالجت موضوع الجنس علاجاً واقعياً. فالإسلام مثلا عالج الجنس ببساطة وسمح بالزواج في سن مبكرة دون وضع قيود مادية تقف حائلاً أمامه. لذلك فإن الفصل بين الحب والجنس أو وضع الضوابط حول الجنس يرجع بالضرورة لأسباب اقتصادية واجتماعية، لذلك يمكن علاج هذا الوضع بالتحكم في الظروف الاقتصادية ومحاولة تغييرها وليس بالبحث عن أخلاق جنسية جديدة أو بهدم الدين.

الفصل الرابع

الجنس والنظم الاجتماعية

هناك من النظم الاجتماعية ما تتأثر مباشرة بأخلاقيات الجنس التى تسود مجتمعا ما، بل ومنها أيضاً ما يظهر نتيجة لأخلاق جنسية معينة، فنظام الزواج والأسرة والعلاقات بين أفرادها، غالباً ما تتأثر بأخلاقيات الجنس السائدة فى المجتمع، والتى غالباً ما تكون بدورها قد ارتبطت بالنظام الاقتصادى أو الدينى الذى يسود المجتمع. كذلك قد تظهر ظواهر أو أنظمة لايقرها المجتمع، إلا أنها تفرض وجودها كنتائج سلبية لتطبيق أخلاق جنسية معينة. ولما كانت الأخلاق الجنسية لها تأثيرها على أنظمة المجتمع الأخرى فلابد من معرفة مدى تأثر هذه الأنظمة وهل ما زالت تؤدى وظائفها التى وجدت من أجلها؟

أولاً: نظام الزواج:

يعتبر نظام الزواج من النظم الاجتماعية التى تشكل أساساً من أسس قيام المجتمع، ويرتبط ارتباطاً مباشراً بالجنس وأخلاقياته، إلى جانب ارتباطه بالنظام الاقتصادى والدينى السائد فى المجتمع. تتأتى أهمية دراسة نظام الزواج فى العصر الحاضر من أن الأخلاق الاجتماعية مازالت تنظر للزواج باعتباره النظام القانونى الواجب الحفاظ عليه، من أجل إنجاب وتربية الأولاد، وباعتباره علاقة شرعية بين الرجل والمرأة، ويرى رسل "أن ضمان استمرار هذا النظام يرتبط بمدى ما يحقق من سعادة، ولكن هل ما زال نظام الزواج - النظام الحالى فى أوروبا - يؤدى وظيفته ويوفر السعادة للرجل والمرأة والأطفال؟[1]. وللوصول إلى إجابة لابد من دراسة تأثير النظام الاجتماعية على الزواج ثم إجراء تحليل لنظام الزواج الحالى.

١ - أثر العامل الاقتصادى والدينى على الزواج:

يقول رسل "لقد كان للعامل الاقتصادى فى المجتمعات البدائية أثر كبير على السلوك

(١) B.Russell : Marriage and Morals, p.88.

الجنسى، فكانت كثرة النساء والأطفال تشكل مزايا ومكاسب اقتصادية للزوج، لأنهم يعملون فى خدمته دون مقابل، لذلك كان أكثر الرجال نفوذاً من يمتلك عدداً أكثر من النساء والأطفال وكانت وظيفة المرأة تشابه وظائف الحيوانات الأليفة، أما دورها فى الحياة الجنسية فكانت تقل أهميته عن دورها الاقتصادى، حيث يحق للرجل الانفصال عنها، بينما ليس لها هذا الحق، ومع التطور الحضارى فى بعض المجتمعات بدأت تظهر قيود تجاه الزنا، بعد أن كان مباحاً فى فترات سابقة، تشبه قيود الزواج، فبدأت تظهر العقوبات القاسية تجاه المرأة الزانية، وكان يحكم عليها بالموت، بينما الرجل لايعتبر مجرماً إذا مارس الجنس مع فتاة غير متزوجة. إن العامل الاقتصادى قد جعل حياة المرأة فى المجتمعات الزراعية شاقة. فكانت تشيخ فى الخامسة والعشرين وتفقد سماتها الجمالية، فقد كان ينظر إليها كحيوان أليف[1].

وأما تأثير العامل الدينى على نظام الزواج، فقد بدأ واضحاً مع ظهور الديانة المسيحية. يقول رسل "لقد اعتبرت الأخلاق المسيحية ممارسة الجنس مع زوجة رجل آخر اعتداء على حرمته، أما ممارسته مع فتاة غير متزوجة فإنه يعد إعتداءً على حرمة الله، وأمرا لا يغتفر من وجهة نظر الكنيسة، كذلك حرمت الديانة المسيحية الطلاق الذى كان مباحاً وحقاً للرجل قبل ظهورها، لأنها تعتبر الزواج مقدساً ولابد أن يظل قائماً ومستمراً طول العمر، ولايحق الانفصال مهما كانت الأسباب. لقد جعلت المسيحية وضع المرأة أسوأ حالاً عما كان عليه فى المجتمعات السابقة لظهورها، بالرغم من مساواتها فى الحقوق الدينية بينها وبين الرجل، ورفضت اعتبارها ملكاً للزوج. حيث كان يحق لها أن تهجر الحياة الزوجية لتهب نفسها للحياة الدينية والعزلة[2].

هدف رسل من عرض تأثير العاملين الاقتصادى والدينى على الزواج إلى توضيح مدى معاناة المرأة من استعباد وقهر لحريتها، فلقد كان العامل الاقتصادى، سبباً فى استعبادها جسدياً ثم جاءت المسيحية وزادت القيود حولها جسدياً ونفسياً وعقلياً، وسبب دراسته لوضع المرأة فى نظم الزواج يرتبط باقتناعه بأن حرية الأجيال ترتبط بحرية النساء، فإذا ما تمتعت المرأة بقدر كبير من الحرية، فإنها سوف تصبح قادرة على خلق جيل من

---

(١) Ibid., PP. 89- 90

(٢) Ibid., P. 91

الأطفال متحرر من الخوف ومؤمن بالحرية. كذلك هدف رسل من دراسته وضعها إلى محاولة تقديم تفسير سيكولوچى واجتماعى لمبالغة المرأة فى المطالبة بحريتها فى العصر الحاضر، وتحررها السافر فى الأمور الجنسية الأمر الذى أصبح يهدد نظام الزواج بوضعه الحالى.

٢ - أسباب التعاسة فى الزواج (حالياً):

اعتبر رسل نظام الزواج الحالى لايوفر السعادة لأفراده، ويرى أن أسباب التعاسة التى يعانى منها الزوجين تعود إلى ما يلى:

أ - نظرة الكنيسة تجاه الزواج:

تعتبر استمرار النظرة التقليدية تجاه الزواج، والتى مازالت تؤمن بها الكنيسة حتى العصر الحاضر سبباً فى تعاسة الأزواج، يقول رسل "لقد أصبح أفراد المجتمعات المتحضرة ذوى اهتمامات ومصالح وأذواق مختلفة ومتنوعة. الأمر الذى جعلهم غير قادرين على الإحساس بالسعادة من الارتباط بشريك واحد طول العمر، كما أصبح الفرد يفضل أن يكون هناك نوع من التآلف والتشابه فى الاهتمامات والمصالح بينه وبين من تشاركه حياته من النساء، وغالباً ما يشعر بعدم الإشباع إذا لم يتحقق هذا التآلف، إلا أن الكنيسة ما زالت تميل للنظر للزواج من زاوية الجنس فقط وباعتباره ضرورى لإنجاب الأطفال، ولاترى سبباً يجعل أحد الزوجين لايسلك وفق رغبة الآخر، وتتمسك بالزواج وتعتبره غير قابلا للانفصال دون النظر لمدى صعوبة تحقيق ذلك. والحقيقة أن هذا التعارض بين نظرة الفرد المتحضر للزواج ونظرة الكنيسة له يعد سبباً رئيسياً من أسباب الشقاء فى العلاقة الزوجية[١].

ب- **التربية الجنسية الخاطئة**: يعتقد رسل أن التربية الجنسية الخاطئة، تتسبب فى فشل الزواج أو إحساس الزوجين بعدم الإشباع ويرى "أن التربية الجنسية الخاطئة غالباً ما تنتشر بين أفراد الطبقة الراقية أكثر منها بين أفراد الطبقة الريفية. حيث يعتاد الطفل الريفى

---

(١) Ibid., P. 91

على رؤية حقائق الحياة من خلال ملاحظة الحيوانات دائماً، الأمر الذى يحقق له معرفة بالأمور الجنسية فيجنبه الجهل وحب المظاهر. أما أطفال الطبقة الراقية المعتنى بها فتحجب عنهم المعارف العلمية المتعلقة بالجنس، وحتى أكثر الآباء تحضراً يعتمدون على الكتب فى نقل هذه المعارف لأطفالهم. الأمر الذى لا يوفر لهم التآلف العملى مع الموضوع الجنسى. كذلك من الملاحظ أن كثيرا من الشباب الذى تلقوا تعاليم المسيحية، يقبلون على الزواج دون خبرة جنسية كافية، مما يؤدى إلى نتائج غير مرضية. ولما كان السلوك الجنسى ليس غريزياً فإن الشباب يعانون من نقص فى الخبرة الجنسية، وتكون الفتاة فاقدة للخبرة الجنسية تماماً ربما يكتسب بعض الشباب خبرة جنسية من البغاء، ولكن مثل هذه الخبرة تجعله لا يقدر قيمة المغازلة التى تعد ضرورية لنجاح الزواج. كذلك من الملاحظ أن نساء الطبقة الراقية يعتبرون البرود الجنسى من الفضائل، الأمر الذى يؤدى إلى استحالة استمرار الزواج. والحقيقة أن الفشل فى الحصول على الاستمتاع الجنسى، يؤدى إلى نوع من عدم الإشباع النفسى والفسيولوچى، يشبه عدم الاستمتاع من تناول الطعام، وليس له علاقة بالفضيلة أو بالرذيلة[1].

وتتضح النظرة النفعية للزواج باعتبار أنه لابد وأن يحقق أكبر قدر من اللذة الحسية، فالسعادة تكون فى الحصول على أكبر قدر من اللذة الحسية، ويجب أن تخدم التربية الجنسية هذا الغرض، ويؤكد رسل على أهمية حصول الشباب على الخبرة الجنسية لنجاح الزواج والشعور بالسعادة. إلا أنه لم يوضح كيف يمكن تحقيق ذلك، الأمر الذى يعد دعوة للإباحة والحرية الجنسية، ولكن هل يمكن اعتبار تحقيق الحرية الجنسية مؤدياً للقضاء على التعاسة فى الزواج[2]؟.

جـ- الصراع بين الغيرة والخيانة الزوجية : لقد أصبحت الخيانة الزوجية ظاهرة منتشرة فى هذا العصر، ولكن ما زال انفعال الغيرة قائماً، ويرى رسل "إن معظم الرجال والنساء فى العصر الحاضر يميلون بصورة غريزية إلى تعدد الزوجات (التعدد هنا المقصود به استبدال الزوجات أو تبادلهن) حيث يشعر الفرد بحب عميق تجاه شخص آخر ولكن عاجلاً أم آجلاً يغطى التآلف الجنس بينهما على هذه العاطفة، الأمر الذى يجعل كل

---

(١) Ibid., PP. 92 - 93

منهما يبدأ فى البحث عن تجربة جديدة، ومع إمكانية السيطرة على هذه النزوة من الناحية الأخلاقية إلا أنه من الصعب إلغائها، فمع نمو حرية المرأة أصبحت الفرصة متاحة للخيانة الزوجية، وكون الفرصة متاحة، تدفع الإنسان للتفكير فيها. والتفكير يؤدى إلى زيادة ونمو الرغبة، ومع غياب السلطة الضابطة والأوامر الدينية تؤدى الرغبة إلى الفعل، لقد أدى تحرر المرأة إلى جعل الزواج أكثر شقاء حيث أصبحت المرأة فى ظل الدعوة بالمساواة فى الحقوق، ورغبة منها فى تأكيد حقها فى تكوين شخصيتها المستقلة ومستقبلها. لا تتألف مع زوجها فى جميع الوجوه، ولا ترى ضرورة فى وجود مثل هذا التآلف وتعتبره مظهراً من مظاهر سيطرة الزوج. بينما ما زال الزوج مؤمنا بالتقاليد القديمة، ويطالب بحقه فى السيطرة عليها ولايعترف بالمساواة، الأمر الذى يؤدى لتعاسة كل من المرأة والرجل. والحقيقة أنه مع زيادة حالات وفرص الخيانة الزوجية. أصبح الإخلاص بين الزوجين غير ضرورى، ولكن المشكلة أن انفعال الغيرة مازال موجوداً ومتأصلا فى اللاشعور، الأمر الذى يؤدى إلى صراع بين الغيرة وحب التملك وبين حرية الخيانة الزوجية، وينتهى بالشقاء فى الحياة الزوجية[1].

د - تقييد الزواج لعواطف الإنسان :

يرى رسل "أن هناك نوعاً من التعاسة، لايشعر به إلا الإنسان الذى يقدر قيمة الحب. فالحب ينمو إذا كان متمتعاً بالحرية والتلقائية، ويموت ويفنى إذا اعتبر واجباً من الواجبات الملزم الفرد بها، فإذا قيل لك: أن من واجبك أن تحب، فإن ذلك يؤدى بك إلى كراهية الشخص الذى طلب منك أن تحبه، إن مطالبة الإنسان بإغلاق عواطفه وعقله فى حدود الزواج، وعدم السماح له بإقامة أى علاقة حب خارج الزواج، وإلزامه بحب زوجته فقط، يؤدى إلى نقص الحنان والعطف وإلى ضيق الأفق والإقلال من فرص تنمية العلاقات الإنسانية والحقيقة أن وضع القيود حول شىء يعد من الناحية المثالية أمرا مرغوباً فيه يؤدى دائماً إلى ظهور ما يسمى "بنظرة الشرطة"[2]، والواقع أن رسل هنا لا يفرق بين الزواج كالتزام والعلاقات الغرامية العابرة، فمن الواضح أنه يرغب فى إلغاء أى عنصر إلزامى من الزواج.

---

(١) Ibid., P. 94

(٢) Ibid., P. 95.

٣ - الزواج السعيد :

لابد أن يستمر الزواج خاصة فى حالة وجود أطفال، ولكى يستمر لابد أن يوفر السعادة، يقول رسل "يعتبر استمرار الزواج فى حالة وجود الأطفال أمراً ضرورياً، ولكى يتم الزواج لابد وأن يسبق بالحب، لأن عاطفة الحب تعتبر من المقومات الأساسية لنجاح الزواج. كذلك يعد إنجاب الأطفال ضرورياً لسعادة الزوجين واستمرار العلاقة، فمع وجود الأطفال والشعور نحوهم بالحب والحنان، تصبح هناك صلة عميقة بين الرجل والمرأة، وسوف يشعران بوجود شيء ذى قيمة يستحق أن تستمر علاقتهما من أجله، حتى بعد ضعف رغبتهما الجنسية. وهناك عدة عوامل تعد ضرورية لتحقيق الزواج الناجح، منها ضرورة التخلص من انفعال الغيرة واعتبارها نوع من الرذائل. كما يجب أن يكون هناك نوع من المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة، وإقناع كل منهما بقيمة حريته الشخصية واحترام حرية الطرف الآخر. كذلك لابد أن يتحقق الالتحام الكامل بين الزوجين نفسياً وبدنياً أو مادياً وسيكولوچيا. مع ضرورة وجود نوع من التجانس والتشابه فى النظرة التقديرية للقيم، كما يجب البعد عن الشك ومحاولة تصيد الأخطاء، واعتبار كل طرف منهما للآخر متهماً حتى تثبت براءته[١].

والواقع أن رسل يستمر فى معالجة موضوع الزواج من منظور الأخلاق النفعية، فالزواج يجب أن يستمر من أجل مصلحة الأطفال مع ضرورة التسامح فى وجود الخيانة الزوجية والتخلى عن الغيرة والسماح بالحرية الشخصية. والحقيقة أن رسل قد أغفل صعوبة تحقيق مثل هذه الأمور المتناقضة، فالزواج التزام يسعى إليه الإنسان بمحض إرادته، ويكون واعياً للنتائج المترتبة عليه، ويبدو أن دفاع رسل عن الحرية الإنسانية ورغبته فى تخلص الإنسان من كافة القيود جعلته يفرغ الزواج من مضمونه ومن الالتزامات المترتبة عليه. فلقد حاول التوفيق بين تمتع الفرد بالحرية الشخصية وبين الواجبات التى يفرضها الزواج. والواقع أنه لايمكن فصل نظام الزواج عن ارتباطه بالتقاليد والأعراف والقوانين الخلقية سواء الوضعية أو الدينية، ويعنى ذلك أن ارتباط الفرد بعلاقة زوجية. سوف يلزمه بقوانين الزواج السائدة فى المجتمع، ومحاولة نقضه ومخالفته للقواعد الخلقية المرتبطة بالزواج والسائدة فى مجتمعه، سيجعله يعانى من عقدة الشعور بالذنب لا شعورياً، الأمر الذى سوف يجعله تعيساً. كذلك مطالبة رسل بالتحكم فى الغيرة بالرغم من اعترافه بأنها

---

(١) Ibid., P 96

غريزية، يعود به إلى موقف يشبه موقف الأخلاق التقليدية التى رفضها، لأنها تطالب الفرد دائماً بضبط النفس وتستهلك الإرادة الإنسانية.

ثانياً: البغاء:

البغاء هو ممارسة الجنس مقابل المال دون ارتباط الرجل والمرأة بأى علاقة ما. وغالباً ما يتوقف على رغبة الرجل ومقدرته المالية، والبغاء ظاهرة لها مخاطرة الأخلاقية والنفسية والصحية، لأنها تؤثر على الحياة السيكولوجية للشباب، وعلى كيان المرأة الاجتماعى والسيكولوجى، وتسبب انتشار الأمراض الجنسية، ونظام البغاء يرتبط بالأخلاق الجنسية، فقد توافق الأخلاق الجنسية عليه فى مجتمع ما، وقد يظهر كنتيجة عكسية للأخلاق الجنسية المتزمتة.

١ - العلاقة بين الزواج والبغاء:

يعتبر نظام الزواج الإطار الرسمى والاجتماعى للممارسة الجنسية، أما البغاء فهو الظاهرة المرفوضة من الناحية الأخلاقية والاجتماعية. ويحلل رسل أسباب ظاهرة البغاء من الناحية التاريخية والاجتماعية وينتهى إلى أن الأخلاق الجنسية التقليدية لها دور فى ظهور البغاء إذ يرى "أنه طالما تسعى الأخلاق التقليدية للحفاظ على فضيلة النساء المحترمات، وعلى استمرار نظام الزواج الحالى، فإن وجود البغاء يعد الوسيلة الوحيدة التى تحقق ذلك. لذا يمكن اعتبار البغاء جزءاً من نظام الزواج، فالبغاء يعد النظام الحامى والمحافظ على فضيلة البنات والنساء والتى تعد من وجهة نظر الأخلاق ضرورية لقيام الزواج. وتظهر الحاجة لنظام البغاء بسبب كثرة عدد الرجال غير المتزوجين، أو الذين تتطلب طبيعة عملهم البعد عن زوجاتهم مدة طويلة. وقد ظهر بسبب عدم إباحة الحرية الجنسية للنساء المحترمات. حيث يؤيد المجتمع وجود طبقة معينة من النساء لإشباع حاجات الذكور الجنسية. التى مازال المجتمع يخجل من الاعتراف بها، وتتميز البغى بأنها متوفرة فى كل وقت، وليس لها حياة خارج مهنتها التى تمارس دائماً فى الخفاء، فالرجل الذى يلجأ إليها يعود إلى أسرته وكنيسته دون فضائح أو التزامات، والواقع أن هذه المرأة مازالت فقيرة ومحرومة من حقوقها الإنسانية بالرغم من أنها تضحى من أجل حماية النساء الفاضلات[1].

---

(١) Ibid., P. 98

٢ - البغاء قبل وبعد المسيحية :

ويستعرض رسل تاريخ نظام البغاء فيرى "أنه قد ظهر مع المسيحية والمأساة الحقيقة لنظام الدعارة أنه أكبر دليل على زيف الأخلاق الجنسية المسيحية فلقد كان نظام البغاء قبل ظهور المسيحية نوعاً من العبادة ويمارس كخدمة للآلهة، فكانت المرأة تمارسه مع الغرباء، ويعتبر خدمة لهم ووسيلة للتقرب للآلهة. لذلك كانت تعامل باحترام من أفراد مجتمعها. وعندما جاءت المسيحية عارضت هذا النظام باعتباره مثالاً على شهوانية عبادة الأصنام فأغلقت المعابد وبدأ البغاء ينتشر فى كل مكان. وتحول إلى سلعة تجارية ومهنة لها قواعدها. أما فى العصر الحاضر فبدأ يقل انتشاره، والسبب فى ذلك أن المرأة أصبحت قادرة على كسب قوتها اليومى من وظائف أخرى أصبحت متاحة لها، وفى زيادة عدد النساء اللاتى يرغبن فى إقامة علاقات جنسية لمجرد إشباع الرغبة فقط والاستمتاع دون مقابل مادى، ولكن بالرغم من هذه الأسباب التى قد تقلل من انتشار البغاء، إلا أنه لن يختفى نهائياً. طالما هناك رجال لايعيشون زواجاً سعيداً ويخافون زوجاتهم[١].

٣ - أخطار البغاء :

إن للبغاء أخطاره الصحية والنفسية التى تهدد كيان الفرد والمجتمع، ويحلل رسل هذه الأخطار بقوله "تعتبر كثرة الأمراض الجنسية وانتشارها من أهم الأخطار السيئة للبغاء، وحتى مع وجود مراقبة صحية من قبل المسئولين تطبق على محترفات البغاء، إلا أنه سوف يصعب تطبيقها على الهاويات المستجدات على المهنة. كذلك كان من الممكن معالجة هذه الأمراض الجنسية وحصرها، إذا لم ينظر إليها على أنها نوع من الرذائل. الأمر الذى يجعل المصاب بها يؤجل علاجها لأنه يخجل منها، أو يحاول علاجها سراً بوسائل غير علمية. والبغاء يؤثر على التركيب النفسى للفرد، إذ يرى عدم أهمية المغازلة قبل الممارسة الجنسية، وإذا كان الفرد متديناً أو متزمتاً من الناحية الأخلاقية، فسوف يشعر باحتقار المرأة التى مارس الجنس معها، ويظل يقارن بينها وبين زوجته، الأمر الذى سيؤثر على علاقته الزوجية. كذلك قد يتعود الرجل من خلال علاقته بالبغى الفصل بين الجنس

---

(١) Ibid . P 99.

والحب، فيصبح غير قادر على ممارسة الجنس مع المرأة التى يحبها ويحترمها، ويهمل الغزل مما يؤدى إلى فشله فى إمتاع زوجته، الأمر الذى يدفعها إما إلى كراهية الجنس أو محاولة الحصول على الإشباع من مصدر آخر، وفى النهاية تتحطم العلاقة الزوجية[1].

٤ - وسائل القضاء على البغاء:

يعد تخلص المجتمع من نظام البغاء ضرورياً للمحافظة على كيانه ونظمه، ولما كانت الأخلاق الجنسية المسيحية مسئولة عن ظهوره ولها دور أساسى فى انتشاره، فإنه يصبح من الضرورى تغييرها وإعادة تقيمها فيرى رسل " ضرورة ظهور أخلاق جنسية جديدة تستند على النظرة العلمية للجنس ومتحررة من الخرافات. كذلك لابد من وجود نوع من الاحترام المتبادل بين الزوجين وعدم استغلال كل منهما للآخر، والنظرة إليه كوسيلة لإشباع رغبته دون اعتبار لرغبة الطرف الآخر. كما يجب حصول المرأة على حريتها الجنسية فالمرأة المتحررة فى آرائها ومشاعرها ورغباتها تكون قادرة على الاستمتاع بالزواج. إن اختفاء نظام البغاء مرتبط بتحليل الأخلاق الجنسية التقليدية التى كانت سبباً فى وجوده، ويكمن أساس حل مشكلة البغاء فى تحرر الشباب من سلطة الأخلاق التقليدية الجنسية وحصولهم على الحرية الجنسية الكاملة. وإذا ما تمتع الشباب بحرية جنسية، فسوف ينشأ جيل من الرجال يتصف بالحنان والرحمة، ويرفض العنف والقسوة وحب السيطرة، ونساء متواضعات بسطاء، وعلى من يعارضون حرية الشباب أن يعترفوا لأنفسهم بأنهم بهذه المعارضة يؤكدون على استمرار نظام البغاء[2].

والحقيقة أن رسل اعتبر حصول الشباب على الحرية الجنسية، وقيام أخلاق جنسية عقلية، تعامل الجنس معاملة الغرائز الطبيعية الأخرى، وسائل للقضاء على البغاء إلا أن مثل هذه الدعوة لحرية الشباب قد تقلل من فرص بقاء نظام البغاء ولكنها لن تقضى عليه تماماً، ومع إمكانية تبريرها فى المجتمعات التى تحرم الاختلاط بين الجنسين، على اعتبار أنها من الممكن أن تؤدى إلى التخفيف من انتشار البغاء، إلا أنه بالرغم من تمتع الشباب بالحرية فى مجتمعات كثيرة فمازال نظام البغاء قائماً. والواقع أن رسل قد أغفل تحليل أسباب اتجاه كل من المرأة والرجل للبغاء. واكتفى باعتباره رد فعل للأخلاق الجنسية

---

(١) Ibid., PP. 100 - 101

(٢) Ibid., PP. 102 - 103

المسيحية التى تؤكد على عفة النساء فاتجاه المرأة للبغاء قد يكون بدافع الحصول على المال أو لسبب نفسى، والأول أكثر شيوعاً حتى فى المجتمعات التى تتمتع بمستوى معيشى مرتفع لذلك توفير مصدر كاف للدخل وتوفير الأعمال المناسبة والعلاج النفسى، تعد عناصر أساسية للقضاء على البغاء، أما بالنسبة للرجل فقد يتجه للبغاء بسبب عدم الحصول على الإشباع فى علاقته الزوجية، أو لعدم القدرة على الزواج بسبب العجز المالى، لذلك تبسيط نفقات الزواج وإباحة الطلاق واللجوء لنظام تعدد الزوجات بصورة واضحة مقننة والعلاج النفسى، تعد وسائل جذرية لعلاج نظام البغاء، والواقع أنه بالرغم من رفض الفكر الغربى لفكرة تعدد الزوجات، من منطلق الأضرار النفسية والاجتماعية، وتحريم المسيحية للتعدد، أو بسبب حرية المرأة وحقها الإنسانى فى المساواة. إلا أن التعدد يعتبر أقل الحلول ضرراً وأكثرها تقنيناً باعتبارها بديلاً لإشباع رغبة الرجل الجنسية التى لا يستطيع أن يجدها فى الزواج الأحادى. إن الدعوة للحرية الجنسية سوف يؤدى إلى انتشار كثير من الأمراض الجنسية والأضرار الصحية. تشبه تلك التى تنتشر فى ظل نظام البغاء، بل وتجعل حياة الإنسان أقرب إلى الحيوانية.

والواقع أن دعوة رسل للقضاء على البغاء تعد مطلباً أخلاقياً واجتماعياً، إلا أن دعوته للحرية الجنسية كوسيلة للقضاء عليه أمر يصعب إقراره خلقياً. وإن كان قد حاول تبرير هذه الحرية الجنسية بأنها يمكن اعتبارها نظاماً أخلاقياً جديداً. أو أنها كانت سائدة وموافق عليها اجتماعياً فى فترات تاريخية مختلفة قبل نزول المسيحية. إلا أنه فى نفس الوقت يطالب الإنسان بأن يتخلى عما اكتسبه من حضارة وقيم على مر التاريخ، ويعود به إلى حالته البدائية الأولى، كذلك المغالطة الواضحة أنه قد ربط بين نظام الزواج الحالى ونظام البغاء، فإذا ما طالب القضاء على البغاء فإنه يطالب فى نفس الوقت بإلغاء نظام الزواج الحالى. الذى سبق واعتبره ضرورياً ولابد من استمراره لتربية الأطفال.

ثالثاً: النظام الأسرى:

تعتبر الأسرة ثمرة العلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة، وغالباً ما تتأثر الأسرة كنظام اجتماعى بأخلاقيات الجنس السائدة فى المجتمع، وذلك طالما تؤثر أخلاقيات الجنس على العلاقة بين الزوجين ثم على علاقتهما بالأطفال، والأسرة بوضعها الحالى أى ذات "النظام الأبوى" أصبحت فى العصر الحاضر تواجه تدخلاً من الدولة فى اختصاصاتها وشئونها، الأمر الذى أدى إلى تناقص دور الأب وبدأت الدولة تأخذ مكانة فى إدارة

شئون الأسرة فأصبح نظام الأسرة بوضعه الحالى مهدداً بالتحلل والزوال، بالرغم من أن وجوده ما زال يعد ضرورياً لإنجاب الأطفال وتربيتهم، إذن المشكلة تكمن فى أن نظام الأسرة الحالى يتحلل بتزايد تدخل الدولة، ولم يظهر نظام أسرى جديد بعد.

١ - عوامل ضعف وانحلال الأسرة (ذات النظام الأبوى):

لقد بدأت تظهر عوامل أدت إلى ضعف النظام الأسرى الحالى فى المجتمع الأوروبى، ويرى رسل "أن صلابة الأسرة وتماسكها قد تأثرت بسبب كثرة التنقل والأسفار والتجارة. ولقد بدأت تظهر عوامل تحلل الأسرة ذات النظام الإبوى (البتريركية) مع ظهور الديانة المسيحية، فطالما تهتم المسيحية بخلاص روح الإنسان تجاه ربه، فليس هناك أى أهمية أو قيمة لعلاقة الإنسان بغيره من بنى البشر، وبذلك أكدت المسيحية على الفردية مما أدى إلى إضعاف العلاقات الاجتماعية، فقديما كان الأب هو الرب أما مع ظهور المسيحية أصبح الرب هو الأب وطاعته تعنى طاعة الضمير، حتى وإن أدت إلى مخالفة الفرد للقوانين، وبذلك أضعفت فكرة الخلاص التى جاءت بها المسيحية سلطة الأب داخل الأسرة. كذلك كان لظهور الثورة الصناعية وما صاحبها من تغيرات فى الوضع الاقتصادى والاجتماعى دور فى التأثير على الشكل التقليدى للأسرة، وأدت هذه التغيرات إلى زيادة تدخل الدولة فى شئون الأسرة، فأصبح الطفل يقع تحت ظل الدولة ثقافياً واقتصادياً وصحيا. الأمر الذى أدى إلى تقلص دور الأب وقيام الدولة بدوره[١]. والحقيقة أنه بالرغم من صلابة تحليل رسل لأسباب تحلل الأسرة بوضعها الحالى، إلا أنه قد أهمل الإشارة إلى الحرية الجنسية التى تعتبر أحد العوامل المؤدية لتحلل الوضع التقليدى للأسرة، حتى لا يتناقض مع دعوته للحرية الجنسية التى سبق وعدها ضرورية.

٢ - أهمية دور الأسرة:

يؤكد رسل على ضرورة استمرار الأسرة بصورتها الحالية - ذات النظام الأبوى - ويبرر ضرورة استمرارها بقوله "إن الأسرة بوضعها الحالى تحقق إشباعاً لعاطفة الأبوة، كما أن وجود الأطفال يحد من أنانية الآباء، وأنظمة اقتصادية كثيرة كالتأمين والتوفير تركز على وجود الأطفال. كذلك يعتبر الأسرة ذات أهمية فى تشكيل شخصية الطفل، لما

---

(١) Ibid., PP. 116 - 117

توفره له من محبة وحنان وعطف، نادراً ما يجده خارج نطاقها ومع ظهور وسائل منع الحمل فى العصر الحاضر، أصبحت الأسرة هى المكان الوحيد الذى يحافظ على عادة إنجاب الأطفال[1].

ومن الواضح أن رسل يبرر ضرورة وجود الأسرة بمعيار نفعى، فهى ضرورية للآباء وشعورهم بالأبوة، وأنسب مكان لتربية الأطفال، لذلك حاول وضع بعض النصائح التى تمكن الأسرة من إنتاج أفضل الأطفال، فيقول "يجب أن تكون العلاقة الجنسية بين الزوجين سعيدة إلى أقصى حد، وتحقق لهما الإشباع الكامل، حتى يمكن تجنب العواطف التى تتطلب ردود فعل من الأطفال، والتى غالباً ما يلجأ إليه أحد الزوجين كبديل للفشل فى العلاقة الجنسية، كذلك يجب عدم التفضيل فى معاملة الأطفال، والسماح لهم بالاختلاط خارج المنزل وتوفير المحبة والحنان لهم، فإن ذلك يؤدى إلى سرعة نمو الطفل وإحساسه بالأمن، ويدفعه للتعلم ويخلصه من المخاوف والتعاسة، كما يجب تقديم المعلومات الجنسية الصحيحة لهم[2].

٣ - الأسرة والدولة :

يناقش رسل مسألة قيام الدولة بوظيفة الأب للإسرة، فيرى "أن تدخل الدولة فى شئون الأسرة أمر له مزايا ومخاطر. فمن المزايا ارتفاع المستوى التعليمى والصحى، وحماية الأطفال من الأسر السيئة والقسوة والظلم. وأما المخاطر تتمثل فى أن الدولة تنظر للأطفال باعتبارهم مادة خام لنوع معين من البناء، فلاتنظر إليهم باعتبارهم غاية، بل كوسيلة لتحقيق غاياتها، كما تهتم بالغالبية دون الأقلية باعتمادها على الإحصائيات، الأمر الذى يؤذى الأطفال ذوى القدرات الخاصة. والنظر للأطفال كوسيلة يجعلهم منصاعون للأوامر حيث تسعى الدولة لصبهم فى قالب واحد، فيرفضون أى أفكار جديدة ويميلون للتعصب والتمسك بالوطنية. ومع تزايد دور الدولة فى التربية سوف تنتشر الحروب فيواجه العالم أخطاراً أسوأ من تلك التى يواجهها الآن لذلك أصبحت هناك حاجة ماسة لحكومة عالمية، تفرض القانون بدلاً من العنف فى النزاعات الدولية تراقب المناهج التربوية، وتحذف ما يؤدى إلى زيادة النزعة الوطنية وسوف يعد استدال الدولة مكان الأب مكسباً

---

(١) Ibid., P 118

(٢) Ibid PP 119 120

للبشرية إذا كانت هناك سلطة عالمية. ولكن طالما أن الدولة مازالت تؤكد على الوطنية والإقليمية والصبغة العسكرية، فإن الأخطار التى تهدد المدنية سوف تتزايد، والمشكلة أن الأسرة بشكلها التقليدى تزداد انحلالاً والدولة العالمية لم تؤسس بعد[1].

والحقيقة أن رسل اعتبر العامل الاقتصادى والمسيحية سببين رئيسيين لظهور الأسرة ذات النظام الأبوى، وفى نفس الوقت انتهى من التحليل بأن تحلل الأسرة فى العصر الحاضر قد نتج أيضاً بسبب المسيحية وتغير الهيكل الاقتصادى فالعامل الدينى الذى تمثل فى ظهور المسيحية أدى إلى تأكيد وجود الأسرة ذات النظام الأبوى، إلا أن تزمت الأخلاق الجنسية المسيحية، والتأكيد على فكرة الخلاص وطاعة الرب أولى من طاعة الزوج، وتمجيد الفردية والعزوبية، وعدم أهمية الزواج أدت بشكل تدريجى إلى التقليل من قيمة الأسرة ثم إلى تحللها، وتحلل الأخلاق المسيحية بصورة عامة ساعد على هدم كيان الأسرة التى كانت قد استندت فى بداية ظهورها عليها. فالمسيحية كانت سبباً فى ظهور الأسرة بشكلها الحالى وأيضاً ستكون سبباً فى تحللها فى العصر الحاضر. أما العامل الاقتصادى فقد كان سبباً فى زيادة سيطرة الأب، فالأولاد والنساء ملكية خاصة له، وأدى إلى ظهور الأسرة ذات النظام الأبوى، ولكن تغير الهيكل الاقتصادى بظهور الثورة الصناعية وما صاحبها من زيادة النزعة الفردية، وحرية المرأة وقدرتها على الاستقلال المادى، بدأ يؤدى إلى تحلل الأسرة ذات النظام الأبوى. فالعامل الاقتصادى كان سبباً فى ظهور الأسرة بشكلها التقليدى وسوف يكون أيضاً سبباً فى تحللها، إلا أن المتغير الجديد يتمثل فى قيام الدولة بوظيفة الأب وما ينتج عنه من مخاطر تبعية الأطفال للدولة. ولما كان رسل مؤمنا بضرورة وجود الأسرة بشكلها الحالى، وبأهميتها لتربية الأطفال، ومدركاً فى نفس الوقت لمخاطر تدخل الدولة فى شئونها وقيامها بوظيفة الأب، فإنه اقترح قيام حكومة عالمية تأميناً لمستقبل البشرية من طغيان الدول.

والحقيقة أن دعوة رسل لقيام حكومة عالمية سبق أن طالب بها كحل للنزاع بين تربية المواطن وتربية الفرد أو الإنسان، وهنا يعود يطالب بقيامها حماية للأطفال من استغلال الدولة التى زاد نفوذها مع تحلل الأسرة. إلا أن هذه الدعوة للحكومة العالمية التى تتحكم

---

(١) Ibid., PP. 140 - 142.

فى تربية الدولة لأطفالها شبيهة بالعودة إلى فرض سلطة الكنيسة، فالدعوة العالمية دعوة مسيحية فى جانب كبير منها، على اعتبار أن الكنيسة هى السلطة العليا والولاء لايكون للدولة، وإنما لله لأن الله أب للجميع. لذلك يظهر فى دعوة رسل التناقض فقد طالب بتخليص الفرد من سلطة الكنيسة والأخلاق المسيحية، كما طالب بتخليصه من سيطرة الدولة والوالدين، ثم يعود ويجعل الفرد خاضعاً لسلطة الحكومة العالمية فالواقع أنه استبدل سلطة بأخرى. وربما كان رسل مدركا استحالة قيام هذه الحكومة العالمية لما يتمتع به من فكر نفاذ، لذلك طالب بالحرية الجنسية للمرأة والسماح بالخيانة الزوجية والحد من انفعال الغيرة، باعتبارها أمور تؤدى إلى استمرار الأسرة وتعطل تحللها.

رابعاً: تعقيب وخاتمة:

١ - يتضح الاتجاه النفعى للأخلاق الجنسية عند رسل حيث نشعر بالحرية فى أن نفعل ما نريد، وأن نتوقف عن هذه الحرية إذا كانت تسبب ضرراً للآخرين. وطالما كان هناك أطفال يجب أن يستمر الزواج حتى مع وجود الخيانة الزوجية، وأن يتعود الزوج أن يحيا فى وجود العاشق، لذلك يعد رسل فى أخلاقه الجنسية من أنصار مذهب المنفعة، فيقترب رسل من "جون ستيوارت ميل" فى دفاعه عن حرية المرأة ومطالبة مساواتها بالرجل، وتحريرها من عبوديتها إلى حد إطلاق حريتها الجنسية، ولتأكيد حريتها لابد من تغيير الأخلاق الجنسية التقليدية التى تصر على عفتها. والأخلاق الجنسية المسيحية يجب الحكم عليها طبقاً للنتائج وإعادة فحصها من منظور نتائجها، وأى أخلاق جنسية جديدة يجب أن تسن طبقاً لنتائجها التى لابد أن تؤدى فى النهاية إلى استمرار إنجاب الأطفال والشعور بالسعادة.

٢ - لقد طالب رسل بالحفاظ على الزواج ووجود الأسرة على اعتبار أن وجود الأسرة ضرورى لإنجاب الأطفال وتربيتهم، واعتبر سهولة الطلاق والانفصال ليس مرغوباً فى حالة وجود الأطفال، وبذلك يعود رسل ويقترب من وجهة نظر الكنيسة التى عارضها من قبل، وتلك التى كانت تعتبر الزواج مقدساً وتحرم الطلاق. وبالرغم من اختلاف هدف كل من رسل والكنيسة فى الحفاظ على استمرار الزواج فالقديس بولس اعتبر الزواج مقدساً ولا يجوز الانفصال، ورسل اعتبر الزواج من منطلق نفعى ضرورياً ولايجوز الانفصال من أجل حماية وتربية الأطفال، إلا أن النتيجة واحدة فى الحياة

العملية من حيث الشعور بالإلزام المفروض من أجل استمرار الزواج، فلقد أبقى رسل على ضرورة الإلزام التى تنادى بها الديانة المسيحية ولكن بدلاً من جعلها مفروضة من الكنيسة، أراد لها أن تكون نابعة من الذات أو من هدف إنسانى. والحقيقة أن سبب ذلك الإشكال هو كيفية التوفيق بين حرية الفرد وضرورة الأسرة لنظام لإنجاب الأطفال. وهناك من الأديان ما عالج ذلك الوضع بواقعية، فالإسلام مثلا كان واقعياً فى معالجة أخلاق الزواج. حيث استطاع التوفيق بين حرية الرجل والمرأة وضرورة الالتزام بالأسرة. فمن حق الرجل الدخول فى علاقة زوجية أخرى. والمرأة يحق لها الانفصال إذا لم تستطع أن تتحكم فى انفعال الغيرة. وقد يكون من الأفضل لمصلحة الأطفال عدم استمرار الزواج. فالواقع أن إباحة الطلاق وتعدد الزوجات تمثل حماية للأطفال فى ظروف كثيرة. وحلا لمشكلات اجتماعية خطيرة، وتوفر للفرد الإحساس بالحرية الشخصية.

٣ - لقد اعتبر رسل تغير الهيكل الاقتصادى سبباً يدعو لتغير الأخلاق الجنسية، وبذلك يغلب العامل الاقتصادى على العامل الإنسانى، وقد كان يعد نوعاً من الاتساق إذا ما غلب رسل العنصر الإنسانى الذى يتفق مع دعوته للحرية الإنسانية. فلقد انتهى رسل من التحليل إلى ضرورة تغيير الأخلاق الجنسية لكى تناسب الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية الجديدة. وبالتالى على الإنسان أن يعدل من أخلاقياته وأنماط السلوك. كلما طرأ تغير فى الهيكل الاقتصادى، ولقد انتهى إلى هذه النتيجة من خلال تحليل لصلة الأخلاق الجنسية بالظروف الاقتصادية، وتغيرها الدائم بتغير هذه الظروف، ولما كانت المسيحية قد أضفت على هذه الأخلاق صفة الثبات، فأدت إلى عدم ملاءمتها لظروف العصر الحاضر، فيجب فصل الأخلاق الجنسية عن الدين ثم إقامة أخلاق تناسب ما استجد من أوضاع اجتماعية جديدة، ظهرت بسبب تغير الهيكل الاقتصادى، وبذلك يخضع رسل الإنسان وأخلاقياته للعنصر الاقتصادى، الأمر الذى أدى إلى مطالبته بالحرية الجنسية وفى نفس الوقت إلى ضرورة الإبقاء على نظام الزواج والأسرة. وربما إذا ما طالب بتغير الظروف الاقتصادية وتطويعها وإخضاعها للعنصر الإنسانى لاستقامة الدعوة. فإذا ماتم توفير مستوى معيشى مناسب وإمكانيات تحقق سهولة تكوين العلاقات الزوجية، لأمكن استمرار الأسرة دون الحاجة للمطالبة بالحرية الجنسية. لأنه يعد من التناقض أن يطالب الفرد بالتحكم فى انفعال الغيرة، وإباحة وجود العاشق والخيانة

الزوجية حتى يستمر الزواج والنظام الأسرى وتبرير ذلك بأنه مناسب لظروف العصر الاقتصادية والاجتماعية وربما يمكن تبرير الدعوة للحرية الجنسية بأنها ضرورية للحرية الإنسانية، ولكن مع استمتاع الإنسان بهذه الحرية الجنسية، سوف يكون مدركاً تماماً أنها لاتمثل أى قيمة أخلاقية.

٤ - لقد طالب رسل بإقامة الأخلاق الجنسية على العقل والعلم، ومع تحقيق تلك الأخلاق لحرية الإنسان، حيث سوف يشعر الفرد بحريته فى تخطيط معتقداته الأخلاقية، ومع إمكانية مناسبة تلك الأخلاق للواقع. إلا أن هذه الدعوة للأخلاق العلمية الواقعية القائمة على العقل، تغفل الجانب الوجدانى والروحى للإنسان، ذلك الجانب الذى يسمو به الإنسان ويعد جزءاً أساسياً فى تكوينه. وإن كان رسل قد سبق وقرر أنه لا تعارض بين العقل والعواطف النبيلة، إلا أن كثيرا من المواقف الخلقية، قد يرفضها العقل والعلم وتقرها العاطفة والوجدان. بل إن رسل قد دفعته عاطفة حب الأطفال إلى التناقض مع منطق العقل، حيث طالب بضرورة استمرار الأسرة فى ظل الحرية الجنسية. إن عاطفة الفرد وحاسته الخلقية تفرض نفسها فى كثير من المواقف الخلقية. فالإنسان ليس عقلاً صرفاً والحياة لاتقوم على الجانب المادى فقط، فهناك إلى جانب العقل العاطفة وللحياة جانبها الروحى. وإذا كان رسل قد ظن أن قيام الأخلاق على العقل والعلم سوف يخلصها من الخرافات والدين، وبالتالى سوف تتحقق سعادة الفرد فإن الفرد فى هذه الحالة سوف يعانى سعادة ناقصة لا تشبع جميع جوانبه الإنسانية. لذلك لابد من تكامل العنصر الإنسانى للأخلاق الذى يتمثل فى التكامل بين العقل والعاطفة وللجانبين المادى والروحى للإنسان.

٥- لقد وجه رسل نقده للأخلاق الجنسية المسيحية من منطلق تناقضها مع الحقائق البيولوجية للحياة، وقد رفض آراء "القديس بولس" لتعارضها فى هذه الحقائق، والواقع أنه يمكن توجيه هذا النقد ذاته لآراء رسل فى الأخلاق الجنسية فقد طالب بالحرية الجنسية للمرأة والتى تتعارض مع الحقائق البيولوجية للحياة. إن حرية المرأة حق طبيعى لها فى كل المجالات عدا الجنس لأن الدعوة لحريتها الجنسية تتعارض مع الحقائق البيولوجية. كما أن استخدام وسائل منع الحمل وعدم ضرورة التقيد بالزواج والأمومة والأسرة أمور لا تتفق مع الحقائق البيولوجية المحددة لدور المرأة فى الحياة إن المرأة لا تبلغ كمالها الفسيولوجى والنفسى إلا بالإنجاب والأمومة، واستمرار الحياة والنمو البشرى أكبر دليل

على هذه الحقيقة الواضحة[1]. كما يعد تحليل رسل لإحتشام المرأة وعفتها وبرودها الجنسى تحليلا يغفل الحقائق البيولوجية. حيث اعتبر تعاليم الدين والأخلاق الجنسية المسيحية مسئولة عن تواجدها والحقيقة أن تمنع المرأة واحتشامها وعفتها أنور بيولوجية تفرضها الطبيعة، بل يمكن تبريرها أيضاً بأن المرأة قد اكتسبتها من التجربة، ومن خلال خبرات الحياة، وتناقلتها لبنات جنسها، فالاحتشام يجعلها مرغوبة من الرجل ويولد لها لذة خاصة. والخبرة الطويلة وحقيقة أن الأشياء المبتذلة المشاعة تفقد قيمتها اكسبتها دراية ومعرفة بهروب الرجل من النساء المبتذلات. أما العفة فإنها أقرب للجانب البيولوجى فالمرأة لأهمية دورها فى الإنجاب والحمل وتقديم السلالة الأفضل. يعينها تعففها على انتقاء أفضل الرجال وعلى نجاح الزواج واستمرار الأسرة.

٦ - لقد أكد رسل على ضرورة فصل أخلاقيات الجنس عن الدين وانتهى إلى هذه النتيجة بعد تحليل لدور الدين المسيحى فى فساد الأخلاق الجنسية وعدم ملاءمتها لظروف العصر. وذلك من خلال المقارنة التاريخية للأخلاق الجنسية والنظرة للجنس قبل وبعد المسيحية، والحقيقة أنه تبرير الدعوة لفصل أخلاقيات الجنس عن الدين، بسبب النتائج السيئة للأخلاق الجنسية المسيحية وخرافتها، إلا أن ذلك لا يجعل الدين سيئاً فى كل جوانبه، ولا يمكن إغفال المبادئ الخلقية التى ينادى بها الدين، حتى أن رسل قد طالب بضرورة الزواج واستمرار الأسرة كما ترغب المسيحية، وبذلك هدف إلى غايات الدين نفسها، ولكن بوسائل مختلفة كإباحة الحرية الجنسية، والواقع أن النظرة الفاحصة تبين مدى تناقض رسل فى دعوته لاستمرار الزواج والأسرة فى ظل الحرية الجنسية، بينما تقر إتساق دعوة المسيحية لتقييد الحرية الجنسية من أجل الحفاظ على الأسرة. إن إقامة أخلاق جنسية جديدة لا يتطلب بالضرورة هدم الدين أو التخلى عنه تماماً، لأن الدين بالرغم من مساوئه الناتجة عن مواقف رجاله المتعصبين. يعد ضرورياً لإشباع الجانب العاطفى والروحى للإنسان، وإن كان رسل يعتقد أن استبدال العلم بالدين يشكل أساساً أفضل للأخلاق فإن ذلك مجرد افتراض، ليس هناك دليل على صدقه ونجاحه. فلقد مكن

---

(١) الكيس كاريل: تأملات فى سلوك الحياة. ترجمة د. محمد محمد القصاص، مكتبة مصر، القاهرة، ص١٠٦.

التاريخ الطويل للأديان تقييم الدين ودورة فى الحياة، أما العلم فإن تاريخه ما يزال محدوداً، بالرغم من نجاحه السريع فى مجالات عديدة، الأمر الذى لايحقق تقييما صحيحاً لدوره فى الحياة وبالتالى فلا يمكن تأكيد حكم، بإتخاذ العلم أساساً للأخلاق سوف يؤدى إلى نتائج أفضل. وإن كان العلم قد ثبت نجاحه فى السيطرة على المادة أو فى الجانب المادى، فإنه لا يمكن الحكم مسبقاً بنجاحه فى مجال الأخلاق والقيم الإنسانية. لذلك لايعد الاستغناء عن الدين واستبداله بالعلم هو الحل. بقدر ما يكون هناك ضرورة للاعتماد عليهما معاً، فالعلم ما يزال قاصراً والدين ما زال صالحاً.

الخاتمة

حدود المنهج التحليلى فى دراسة الأخلاق الاجتماعية

لا يمكن القطع بالتحديد بأن رسل قد تخلى تماماً عن استخدام التحليل فى معالجته للأخلاق الاجتماعية. كذلك لا يمكن وصف آرائه التى عرضها فى دراسة السعادة والتربية والجنس بأنها كانت نتائج مباشرة للتحليل، أو نابعة من التزامه بتطبيق المنهج التحليلى، ذلك الذى طبقه فى دراسته للعلوم الطبيعية والرياضية. كما لا يمكن تصنيف آراء رسل فى الأخلاق الاجتماعية بأنها كانت نتيجة مباشرة لتجاربه الشخصية التى مر بها أو للظروف الاجتماعية التى عاش فيها، وأنه لم يحاول تطبيق المنهج التحليلى. واستخدام التحليل فى دراسة هذه الموضوعات الاجتماعية بقدر ما تسمح به طبيعتها. ويرجع ذلك إلى سببين:

١ - أن رسل فيلسوف معاصر متحرر، لايريد أن يسجن نفسه فى إطار منهج واحد، ومع اعتباره التحليل منهجاً مثمراً فى الفلسفة، وكثير من مشكلات الفلسفة تتلاشى بالتحليل، إلا أنه مدركاً لحدود المنهج وطبيعة الموضوعات التى يمكن تطبيقه عليها.

٢ - لم يهتم رسل كما وضح فى الباب الأول بدراسة المنهج التحليلى نفسه، ولم يوضح قواعده وخطواته بالرغم من تصريحه بأن منهجه قابلاً لأن يتجسد فى قواعد محددة.

لذلك تظهر صعوبة فى تحديد مدى التزام رسل باستخدام التحليل فى معالجة الأخلاق الاجتماعية، أو مدى نجاح المنهج التحليلى فى تحليل الواقع المادى. ولكن بالرغم من عدم التزام رسل التام بتطبيق المنهج التحليلى فى دراسته للسعادة والتربية والجنس إلا أنه يمكن تحديد بعض خصائص منهجه فى دراسته للأخلاق الاجتماعية.

١ - السعادة والتحليل:

تظهر بعض خصائص المنهج التحليلى فى دراسة رسل للسعادة. إلا أنه لا يمكن وصف النتائج التى توصل إليها بأنها كانت نتيجة مباشرة للتحليل لعدة اعتبارات

أولاً : اعتبر رسل السعادة ظاهرة موضوعية وبالتالى تقبل التحليل مثل الظواهر الاجتماعية، بمعنى أن لها عوامل وأسباب تؤدى إلى الوصول إليها، ويمكن دراستها وتحديدها، وتعد هذه النظرة للسعادة أشبه بالنظرة العلمية. واعتمد رسل على آراء المدرسة السلوكية ومدرسة التحليل النفسى فى تحليله لأسباب الشقاء، والحالات النفسية التى تؤدى إلى التعاسة. كما استند إلى نظريات علم الاجتماع فى تحليل أوضاع الأسرة والنظم الاجتماعية ومدى تحقيقها للسعادة، وبذلك يلتزم رسل فى دراسته للسعادة باتخاذ النظريات العلمية كمقدمات أساسية للبحث، فبالرغم من نظرته للنظريات العلمية بأنها صادقة صدقاً جزئيا، إلا أنه اعتبرها عنصراً ضرورياً ومقدمات أساسية للتحليل.

ثانياً : إذا أمكن اعتبار التعريف والتوضيح والتبرير صوراً وأهدافاً للتحليل. فلقد لجأ رسل إلى الاعتماد على التعريف، حيث كان يهتم دائماً بتعريف الموضوع قبل تناوله بالدراسة كتعريفه مثلا للشعور بالذنب وهوس الاضطهاد والحسد، ولكنه لم يتوقف عند حدود التعريف فقط، أو التزم بحدود التعريف اللغوى، كذلك كان يهتم بالتوضيح وبيان العلاقات الخفية التى قد لا تكون ظاهرة بطريقة مباشرة، خاصة فى دراسته لآثار التربية الخاطئة والعقد النفسية والانفعالات والعادات والتقاليد على سعادة الفرد، ولم يتوقف عند حد التوضيح اللغوى فقط، كذلك إذا كان التحليل يهدف التبرير، فيمكن اعتبار دراسة رسل للسعادة نوعاً من التبرير لوجودها والاعتقاد بإمكان وجودها، فإذا كان هناك أناس سعداء ومجتمعات سعيدة، إذن السعادة موجودة وممكن الحصول عليها.

ثالثاً : يهدف التحليل إلى الحد من الأخطاء وإزالة الغموض واللبس فى مجال اللغة ويمكن التماس هذا الهدف فى دراسة رسل لموضوع السعادة. إلا أن الحد من الأخطاء وإزالة الغموض لم يقتصر هنا على اللغة، وإنما امتد ليشمل مفهوم السعادة بصورة عامة حيث حلل رسل أنماط التفكير السائدة والعادات والتقاليد والمفاهيم الاجتماعية، وانتهى إلى أن كثيرا منها تعتبر من أسباب الشقاء بعد أن كان معتقداً بأنها ضرورية لتحقيق السعادة، ويعتبرها معظم الناس لازمة للسعادة. وبذلك خلص رسل مفهوم أو مضمون السعادة من كثير من الغموض واللبس، وتلك النتيجة لم تكن فى مقدورنا دون التحليل.

رابعاً : اعتبر رسل السعادة مركبا يمكن حله إلى البسائط التى تكونه، وإن كان التحليل حل المركبات إلى عناصرها التى تكونها مادية أو لغوية، إلا أن طبيعة ظاهرة السعادة فرضت صوراً مختلفة للتحليل، فلقد اعتبر رسل السعادة صفة كلية يجب

تحليلها إلى الحالات الجزئية التى تظهر فيها وتكون مصاحبة لها، ويتفق ذلك الموقف مع تحليل رسل للمعرفة، فكل ما فى العقل معرفة بالوصف، لذلك يجب أن يحلل إلى معرفة بالاتصال المباشر لمطابقتها بالواقع، فإذا كان لدينا فكرة عن إنسان، فهى معرفة بالوصف ويجب أن نحولها إلى قضايا ذرية بسيطة، يكون موضوعها فرداً جزئياً حتى يمكن مطابقتها بالواقع[1]. ويمكن الاستنتاج بأن رسل يتبع نفس النظرة التحليلة فى دراسته للسعادة. فمفهوم السعادة من أنواع المعرفة بالوصف، لذلك يجب تحليله إلى حالات جزئية ومواقف يمكن الاستدلال عليها بالاتصال المباشر. أى يهدف رسل إلى تحليل مكونات السعادة إلى وقائع يمكن معرفتها بالخبرة المباشرة.

خامساً : لم يستخدم رسل التحليل بهدف الهدم، حيث قد يفسر التحليل، بأنه ما هو إلا هدماً وتفتيت للظاهرة بهدف القضاء عليها ففى تناول رسل للسعادة لم يكن يهدف إلى هدمها، إنما هدف إلى إمكانية تحقيق وجودها. وإذا ما كان التحليل هدماً، فإن رسل لجأ إلى هدم الأخطاء الشائعة التى يزل فيها الفكر الإنسانى والخرافات التى قد ترتبط بمفهوم السعادة، ولأنماط السلوك التى كان يعتقد أنها مؤدية للسعادة. وللعادات الاجتماعية التى تمارس دون فحص لنتائجها، ويمكن وصف تحليل رسل للسعادة بأنه كان يهدف منه للهدم والبناء، هدم لأسباب الشقاء وبناء لأسباب السعادة.

سادساً : والواقع أن رسل لم يلتزم تماماً بموقف الفيلسوف التحليلى فى تناوله للسعادة، ولم يلجأ للتحليل من أجل التحليل، وإنما جاء تحليله للسعادة تأكيداً لمذهبه الفلسفى، واستخدم التحليل كوسيلة لغاية، ولتبرير آرائه فى الحرية الإنسانية والنزعة العلمية، فالسعادة تنبع من الحرية والتنظيم العقلى والاعتماد على نظريات العلم. كما هدف من تحليل السعادة إلى القضاء على الأخلاق التقليدية والمسيحية، والدعوة لأخلاق تستند على المنطق والاستدلال، فتربط الحكم على الفعل بنتائجه وبمدى تحقيقه للإشباع، كذلك هدف من تحليل السعادة إلى تأكيد موقفه الرافض للدين المسيحى، ولتبرير فكرة قيام حكومة عالمية، تلك التى يرى ضرورة قيامها فى مجمل آرائه فى السياسة. لذلك لم يهدف رسل من تحليل السعادة، التحليل من أجل التحليل، وإنما هدف تبرير آراء معينة ومعتقدات يؤمن بها، وكانت لديه فروض مسبقة ومعتقدات مؤمن بصحتها واستخدام التحليل كوسيلة لتأكيدها.

---

(١) د. زكى نجيب محمود، برتراند رسل، المنطق وعالم الواقع، ص ٦٣

سابعاً : ولما كان المنهج التحليلى يقوم على التقسيم ويهدف الوصول إلى نتائج جزئية، ولايسعى إلى إقامة أنساق فلسفية كاملة، فإن رسل لم يلتزم فى بحثه عن السعادة بتلك القاعدة الأساسية للتحليل، فقد اتجه إلى إقامة نسق فلسفى، مما جعله يقترب من الفلسفة التأملية. ومع إن ذلك يتفق مع موقفه من الميتافيزيقا حيث لم يرفضها كلية. إلا أن موقفه جعل التحليل يفقد خاصية أساسية من خصائصه.

٣ - التربية والتحليل :

تظهر بعض خصائص المنهج التحليلى فى دراسة رسل للتربية، وبالرغم من أن مثل هذه الدراسة للتربية تعتبر محاولة جديدة إلى حد ما، لأن الفلسفة التحليلية ما زالت بعيدة عن المجال التربوى إلا أن من الواضح عدم التزام رسل تماماً بموقف الفيلسوف التحليلى فى هذه الدراسة، وذلك كما يلى :

أولاً : لقد وضح التحليل فى تناول رسل للأهداف التربوية فى ومحاولته تحليل هذه الأهداف فى بعض الحضارات القديمة والبلدان المعاصرة حيث بدأ دراسة تحليلية للأهداف التربوية المعلنة والخفية والشعورية واللاشعورية، والتى توجه النظام التربوى سواء عن وعى من المسئولين عن العملية التربوية أو بدون وعى منهم، ووضح قيمة الهدف التربوى ومدى ما حققه من نتائج إيجابية وسلبية، ووضع معياراً للحكم على الهدف التربوى، يعتمد على دراسة النتائج والآثار سواء على الفرد وسعادته. أو على المجتمع ومدى تقدمه ورغبة أفراده فى السلام، فانتهى رسل إلى أن كل ما يعانيه الفرد من شقاء وتقاسيه الإنسانية من حروب وصراعات، مرده لأهداف تربوية وضعت دون تحليل لها ولنتائجها. كما حلل رسل النظريات التربوية المعاصرة ومصادراتها، لاكتشاف أى منها أنسب لظروف العصر، وانتهى إلى ضرورة وجود نظرية تجمع بين هذه النظريات وتحقق ثقافة الفرد المواطنة.

ثانياً : اتجه رسل إلى تحديد المصطلحات التربوية والمفاهيم الأساسية التى تستند عليها التربية ، وذلك برد هذه المفاهيم إلى صورها الحسية فى الواقع، وتعريفها من خلال أمثلة جزئية، وهدف من هذه التعريفات إلى جعل المفاهيم التربوية واضحة ومحددة أمام المسئولين عن العملية التربوية، لأن عدم تحديد المصطلحات والمفاهيم التربوية، كثيرا ما يكون سبباً للخلط وسوء الفهم والغموض، وقد يؤدى ذلك إلى اختلاف معنى المصطلح عند كل فرد من القائمين على العملية التربوية.

ثالثاً : حلل رسل مفهوم التربية إلى عناصره، وقسم التربية إلى تربية خلقية وإلى تربية عقلية، ثم تناول كلا منها بالتحليل، أى أنه قسم المشكلة موضوع الدراسة إلى أجزاء وعناصر ثم دراسة كل عنصر منها على حدة، فلم يدرس التربية كتصور قائم بذاته، أو من خلال نظرة كلية شاملة، وتصور لما ينبغى أن يكون. والواقع أن تقسيم المشكلة سمة أساسية من سمات المنهج التحليلى، حيث قد تتضح علاقات، قد تكون غير واضحة قبل إجراء التحليل. فقد وضح تحليل التربية أن دراستها فى مجتمع ما، لايمكن أن تتم بمعزل عن نظامه الاجتماعى والدينى والاقتصادى والسياسى، أو عن درجة التقدم العلمى فى ذلك المجتمع، فالعملية التربوية جزء من كل تؤثر وتتأثر وليست تصورا قائماً بذاته.

رابعاً : إذا كان الحد من الأخطاء والاقتصاد فى الفكر وحذف ما ليس له ضرورة، أهدافا أصيلة للتحليل، فإن مثل هذه الأهداف ظهرت فى دراسة رسل للأهداف التربوية، حيث وضح بعد تحليل هذه الأهداف التربوية السائدة. ان هناك كثيرا منها يجب حذفها والتخلص منها نهائياً، وذلك إما لأنها أصبحت لا تناسب طبيعة الإنسان وطبيعة العصر وظروفه، أو لأنها كانت تؤدى إلى نتائج عكس ما كان يتوقع منها، وإما لأنها متناقضة فى صورتها المنطقية "كمثل مطالبة المدرس بالكذب فى بعض الأمور للمحافظة على الفضيلة" ولم يتفق رسل مع التربويين فى اعتبار بعض الأهداف التربوية واضحة بذاتها، فرفض كثيرا من الأهداف التربوية واضحة بذاتها، فرفض كثيرا من الأهداف التربوية، كالتأكيد على مبدأ "إنكار الذات" والتشجيع على "المنافسة" وهى تلك التى كان القائمون على التربية يعتبرونها أهدافاً أساسية للعملية التربوية وواضحة بذاتها. كما انتهى رسل من تحليل التربية إلى وجوب تخليصها من أنماط التفكير الخرافى والغيبيات ومن الموضوعات التى ليس لها ما مصداقيات فى الواقع. وبذلك أصبح من غير الضرورى تدريس الدين المسيحى ويمكن تشبيه عملية الحذف بعد إجراء التحليل، بأنها تشبه الهدف النهائى لقاعدة "نصل أوكام"، حيث يمكن الوصول إلى أقل الأهداف التى يمكن تحقيقها، دون التأكيد على مبادئ متناقضة، كالتأكيد مثلاً على مبدأ إنكار الذات الذى يؤدى إلى الاستغراق الذاتى، كذلك حذف الموضوعات التى ليس هناك ضرورة لتدريسها، وتدرس من أجل أنها يجب أن تدرس. وإن كان تطبيق قاعدة "نصل أوكام" فى الفلسفة يهدف تخليصها من الأخطاء والغموض، فيمكن استلهام مثل هذه القاعدة فى دراسة التربية وتطبيقها على أهدافها ومناهجها.

خامساً : اعتمد رسل على نظريات علم النفس والتحليل النفسى، واتخذ منها قاعدة ومدخلاً لنقد وتحليل نظم التربية الحالية، ولم ينقد هذه النظم التربوية من خلال منظور فلسفى، بل اعتمد على العلم ونظرياته ففى تحليله للموقف التربوى للأسرة وضح اعتماده على آراء "فرويد" وعند تحليله للموقف التربوى للمدرسة والمجتمع اعتمد على آراء المدرسة السلوكية فى علم النفس، وإن كان يبدو واضحاً أنه يميل إلى المدرسة السلوكية فى علم النفس، حيث تحلل هذه المدرسة السلوك الإنسانى إلى وحدات، وتفتته إلى العناصر التى يتكون منها.

سادساً : الواقع أنه بالرغم من ظهور بعض سمات المنهج التحليلى فى دراسة رسل للتربية. إلا أنه لا يمكن وصف الآراء التى قد توصل إليها، بأنها كانت نتيجة للمنهج التحليلى، أو أنها جاءت نتيجة التزام بالمنهج العلمى، فقد جاءت بعض آرائه نتيجة لخبرته الشخصية فى تربية أطفاله، حتى أنه كان يضع خبرته الشخصية فى مقابل النظريات العلمية، ويميل إلى ترجيح الخبرة الشخصية، إذ ما تعارضت مع النظريات العلمية فى علم النفس، فيقول رسل "لقد عالجت هذا الموضوع بالتفصيل (يقصد مخاوف الأطفال) لأنه يعتبر إلى حد ما مناقضا للنظريات العلمية التى أكن لها احتراما"[1]، وفى موقع آخر يبين خطأ "فرويد" فى إرجاع اللعب عند الأطفال إلى الدافع الجنسى، حيث يقول إن الدافع إلى اللعب هو حب السيطرة، كما قد وضح من خلال ملاحظتى لسلوك ولدى فى سن الثالثة[2]. لذلك من الواضح تذبذب رسل بين الالتزام بالمنهج العلمى وبين تجربته الشخصية. فكان هناك نوع من الجمع بين المنهجين فأحياناً يبدو متمسكاً بالنظرة العلمية، وأحياناً أخرى يؤكد أهمية ملاحظاته التى يستمدها من تجربته الشخصية، والواقع أن الجمع بين المنهجين يعد ضرباً من التناقض ، لأن المنهج العلمى يتطلب حياد الباحث تماماً عن آرائه الشخصية ويؤكد على الموضوعية، حتى أن رسل نفسه كان قد سبق وانتقد الفلسفة التقليدية لأنها كانت تتلون بتلون الفلاسفة.

سابعاً : لم يتوقف رسل عند حدود التحليل للتربية وأهدافها بمعنى التحليل من أجل التحليل. وإنما حاول إقامة نسق تربوى فلسفى، ووضع تصور لما ينبغى أن تكون عليه

---

(١) R. Russell: On Education. P. 70.

(٢) Ibid.. P. 70.

التربية وأهدافها ومناهجها، وذلك جعله يقترب من الفلسفات التقليدية، بقدر ما يجعله يبتعد عن الفلسفات التحليلية. وإذا ما كان رسل قد التزم بالتحليل ووقف محايداً وناقداً ومحللاً، لكان أكثر التزماً بالنظرة التحليلية، لذلك يمكن القول بأن رسل بدأ تحليليا وانتهى إلى التركيب مثلماً يحدث فى الفلسفات التأملية. كما وضح ارتباط التحليل بمذهبه الفلسفى، بمعنى أنه قد استخدم التحليل لبناء مفاهيم تربوية معينة، وتبرير معتقدات يؤمن بها، فلم يستخدم التحليل من أجل التحليل، ولكنه لجأ إليه لتبرير اعتقاده فى الحرية والسعادة والتقدم العلمى والاجتماعى. كأهداف يعتبرها أساسية لكل نظام تربوى.

ثامناً : وبالرغم من وضوح النظرة الواقعية والاتجاه التجريبى عند رسل فى دراسته للتربية، وجاءت كثير من آرائه فى التربية أقرب إلى المذهب النفعى، حيث كان ينظر للنتائج ويحكم من خلالها، إلا أنه كان يميل أحياناً نحو المثالية والنظرة التأملية. والواقع أن الفيلسوف التحليلى يجب أن تتوقف مهمته عند تحليل الواقع، ثم يترك المجال للعلم ونظرياته، فلذلك عند دراسة التربية فى مجتمعه ما يجب تحليل مناهجها وعناصرها وأهدافها، تحليلاً يصل بنا إلى الأصول ومعرفة الفروض الأولية ونقدها، كما يجب أن تنحصر فلسفة التربية فى التحليل اللغوى للمفاهيم التربوية الشائعة، التى غالباً ما تمارس كالخبرة والذكاء والتحصيل، والتأكد من وجود فئات لها ومقاييس كمية وكيفية يمكن أن تقاس بها، كذلك ليس بالضرورة الاتجاه نحو التركيب. كما كانت تفعل الفلسفات التقليدية أو إقامة مذهب فلسفى متكامل.

٣ - الجنس والتحليل :

نظر رسل للجنس نظرة علمية تحليلية، حيث حلل كثير من المفاهيم المتعلقة بالجنس، إلا أنه لا يمكن الحكم بأن الآراء التى انتهى إليها كانت نتيجة لنظرة علمية يمكن وصفها بالحياد والموضوعية، وذلك لعدة اعتبارات.

أولاً : لقد اعتمد رسل على نظريات علم الاجتماع وآراء علماء الأنثروبولجيا، ومدارس التحليل النفسى لتوضيح قيمة الجنس فى الحياة الإنسانية وباعتباره غريزة لها دورها فى البناء البيولوجى للإنسان وفى تنظيم قيم وقواعد المجتمع، كما اعتمد على

هذه النظريات فى توضيح الصلة بين الجنس والنظم السياسية والاقتصادية والدينية، التى قد تسود مجتمع ما، وبذلك يعد رسل ملتزماً باتخاذ النظريات العلمية التى تخدم موضوع البحث مقدمات أساسية ينطلق منها. وتلك سمة أساسية من سمات التحليل.

ثانياً : حلل رسل كثيراً من المفاهيم المتعلقة بالجنس والنظم الاجتماعية التى ترتبط به. ووضح أن هناك كثيرا من المفاهيم الخاطئة التى ترتبط بالجنس، بسبب التربية الخاطئة أو أخلاق تقليدية متزمتة تقوم على الخرافة، ومن هذه المفاهيم مثلاً ربط الجنس بالرذيلة، وفصله عن الحب وانتهى من التحليل بأن مثل هذه المفاهيم الخاطئة كانت سبباً فى تشويه الجنس، وما يزال الأخلاقيون التقليديون يصرون عليها، بالرغم من التأثير السيء للسلوك المترتب عليها على شخصية الفرد، ومن إفسادها للعلاقة بين الرجل والمرأة. لذلك يجب التخلص من مثل هذه المفاهيم التى التصقت بالجنس وأخلاقياته وحذفها نهائياً أو استبدالها بأخرى أكثر واقعية واتساقاً. والواقع أن تلك النتيجة لم يكن من الممكن الوصول إليها بغير المنهج التحليلى، حيث مكن التحليل المنطقى للمفاهيم مدى تناقضها الداخلى فيما بينها أو مع النتائج التى كانت قد وضعت لتحقيقها.

ثالثاً : وضحت نظرته العلمية فى دراسة الجنس. بالرغم من عدم إمكانية وصف النتائج التى توصل إليها، بأنها جاءت لازمة عنها بالضرورة. فلقد استخدم المنهج الاستقرائى فى دراسة الظاهرة فى الواقع والمجتمع. كما استخدم المنهج الاستنباطى فى توضيح النتائج التى قد يمكن أن تظهر، إذا ما ظلت الأخلاق التقليدية بصورتها الحالية. والواقع أنه يمكن تبرير هذا التعدد فى المناهج التى استخدمها رسل، بأنه كان يهدف إلى تحقيق التحليل دون النظر للارتباط بهذا المنهج أو ذلك، أو بأن التحليل منهج مفتوح وشامل وغيرمحدد أو ملزم بقواعد محددة ثابتة. وبذلك يأخذ التحليل معنى واسعاً، ويحق للفيلسوف التحليلى الاستعانة بالمناهج المختلفة التى تمكنه من إجراء عملية التحليل فقد تفرض دراسة ظاهرة ما استخدام أكثر من منهج كاستخدام المنهج الاستقرائى مثلا والمنهج الاستنباطى بالرغم من الاختلاف النظرى بينهما، على اعتبار أن المنهج الاستقرائى يتعامل مع الواقع ويدرس الظواهر الطبيعية، والمنهج الاستنباطى يدرس المجردات ويستخدم كمنهج بحث فى العلوم الرياضية، وعلى ذلك إذا كان المنهج التحليلى يلجأ لاستخدام المناهج المختلفة فإنه يعتبر أشملها ويحقق التكامل بين المناهج ويقضى على

الفصل الحاد بينها، الذى كان يفرض على الفيلسوف الالتزام بمنهج جامد محدد. بالرغم من عدم ملاءمة المنهج لظاهرة المراد دراستها فى بعض الأحيان.

رابعاً : لجأ رسل لاستخدام المنهج المقارن والمنهج التاريخى فى دراسته للجنس وللسلوك الجنسى وأثره على المجتمع.، ونظر للجنس باعتباره ظاهرة اجتماعية، حيث وضح أنه ليس هناك قواعد ثابتة أو أخلاق جنسية محددة، وأن لكل مجتمع نظمه السياسية والاقتصادية التى يكون لها دورها فى تحديد السلوك الجنسى وأخلاقيات الجنس فى هذا المجتمع. وقد استند على منهج التحليل التاريخى للظاهرة فى توضيح أن هناك كثيرا من المفاهيم الخاطئة التى قد ارتبطت بالجنس، من خلال تطور الوعى الإنسانى وظهور الأديان والتقدم العلمى فى دراسة الأجنة (علم تحسين النسل)، كذلك فى بيان أن مثل هذه المفاهيم كانت قد ظهرت بسبب تأثير الظروف الاقتصادية فى فترات التاريخ المختلفة، واستخدام المنهج المقارن فى المقارنة بين المجتمعات المختلفة فى نظرتها للجنس. وانتهى رسل إلى ضرورة تنقية الجنس من المفاهيم الخاطئة التى قد لحقت به من خلال التطور الحضارى وأن هناك حاجة ماسة لمفاهيم جديدة تناسب ظروف العصر الحاضرة.

خامساً : كان رسل عند دراسة مفهوم ما أو معتقد من المعتقدات المتعلقة بالجنس، يدرسه من حيث البعد الزمانى والمكانى "بمعنى دراسة أسباب المعتقد من الناحية التاريخية. أى من الماضى إلى الحاضر، كذلك دراسة المعتقد فى أماكن مختلفة سواء فى الحضارات القديمة والحديثة، فكان يختار مناطق حضارية مختلفة من الشرق والغرب كميدان للبحث والتحليل، كأوروبا من الغرب والصين من الشرق، فمثلا لم تقتصر دراسته لعلاقة الجنس بالرذيلة والحفاظ على عفة المرأة ونظم الزواج والطلاق على المجتمع الحاضر، بل كان يتبع ويحلل المعتقد أو المفهوم من الناحية التاريخية لبيان أسبابه، وكيف كان فى الحضارات المختلفة شرقاً وغرباً أو قديماً وحديثا، وانتهى من هذا التحليل "الزمانى والمكانى" إلى أن كثيراً من المفاهيم والمعتقدات المتعلقة بالجنس ليس لها صفة الثبات. وبصرف النظر عن مدى صحة أو خطأ النتائج التى كان رسل يتوصل إليها، فإن دراسة المفهوم أو الفكرة من حيث الامتداد الزمانى والتنوع المكانى يحقق مزيداً من التوضيح وعمقاً للتحليل، ويمكن وصف ذلك بأنه دراسة "أفقية ورأسية" للمفهوم أو المعتقد، تكون أفقية من خلال المقارنة بين المجتمعات والحضارات المختلفة وتعاملها مع المفهوم ورأسية بمعرفة التطور التاريخى للمفهوم أو المعتقد.

سادساً : ولكن بالرغم من أن النتائج التى توصل إليها رسل تعد نتائج منطقية وضرورية ولازمة، عن نظرة تحليلية أصيلة للجنس وأخلاقياته، إلا أن رسل لم يتوقف عند حدود التحليل، فقد بدأ يقترح تصورا للأسس التى يمكن أن تقوم عليها أخلاق جنسية جديدة كالنظرة العقلية العلمية للجنس، واستخدام لغة عملية جافة لا تثير العواطف فى معالجة موضوعات الجنس، وبذلك يحيد رسل عن الموقف التحليلى ويتحول إلى موقف المصلح الاجتماعى. ولقد انتهى إلى المطالبة بالحرية الجنسية وتخليص الجنس من سيطرة الدين، وإلى المطالبة بقيام حكومة عالمية، تلك التى أصبح وجودها أمراً ضرورياً بعد قيام الدولة بوظائف الأب، ومع أن هذه النتائج التى انتهى إليها رسل جاءت من خلال تسلسل منطقى محكم، يصعب فصل حلقاته عن بعضها البعض، إلا أن عاطفة رسل نحو حب الأطفال ورغبته فى سعادة البشرية فرضت عليه عدم الإخلاص لهذه النتائج، فعاد وطالب بوضع القيود حول عاطفة الحب والجنس والطلاق من أجل استمرار إنجاب الأطفال وحمايتهم، وإن كانت القيود هنا علمية أو عقلية، إلا أن القيود هى القيود. كذلك طالب بضرورة استمرار النظام الأسرى الحالى بعد أن كان قد وضح بالتحليل تحلله بسبب عدم تحقيقه للسعادة. والواقع أن مطالبة رسل بالإبقاء على نظام الزواج الحالى والأسرة ذات النظام الأبوى، تعد دعوة غير مباشرة إلى الإبقاء على الدين الذى كان سبباً فى قيامها، وإلى الإبقاء على ظاهرة البغاء، وإن كان رسل قد تصور أن الحرية الجنسية سوف تقضى على البغاء، إلا أنها سوف تتعارض مع نظام الزواج وسوف تؤدى إلى نتائج أسوأ. والحقيقة أن مثل هذه التناقضات التى انتهى إليها رسل أو التى تظهر كنتائج لآرائه، قد جاءت نتيجة تخليه عن نظرته التحليلية وانحيازه لعاطفته نحو حب الأطفال وضرورة الإنجاب.

٤ - تعقيب :

١ - والحقيقة أنه رغم ظهور بعض خصائص النظرة العلمية فى دراسة رسل للأخلاق الاجتماعية، إلا أن النتائج التى توصل إليها لم تكن حتمية أو نابعة عن هذه النظرة العلمية، لذلك لا يمكن اعتباره قد التزم بتطبيق النظرة العلمية التحليلية فى دراسته للأخلاق الاجتماعية، بل لقد وضح انفصال آرائه فى الأخلاق والسعادة والتربية والجنس عن منهجه التحليلى الذى طبقه على العلوم الطبيعية والرياضية، ويمكن الحكم بأن رسل

قد ظهرت عنده ثنائية واضحة فى النظر إلى الحياة الإنسانية فلقد طبعه منهجه التحليلى على العلوم الطبيعية واهتم بتحليل اللغة، باعتبار أن التحليل يزيل الغموض واللبس عن كثير من مشكلات الفلسفة، إلا أنه فى تناوله للأخلاق كان فيلسوفاً تقليديا. وكانت آراؤه فى الأخلاق أقرب إلى آراء المذهب النفعى وتلك التى ظهرت عند جون ستيوارت مل ومع أن آراءه فى تبرير الحرية والعدل ورفض الخرافة بالرغم من تحقيقها للإشباع، قد أبعدته عن مذهب المنفعة، وربما كان ذلك بسبب حسه المرهف ورغبته فى تحقيق الحرية الإنسانية، إلا أن النزعة النفعية كانت واضحة من خلال آرائه.

٢ - وإن كان من الواضح أنه بالرغم من عدم اتجاه رسل إلى الالتزام بتطبيق منهجه التحليلى فى مجال الأخلاق، فإنه قد اعتمد إلى حد كبير فى رد كثير من المشكلات الأخلاقية إلى علم النفس وعلم الاجتماع، وتلك السمة فى تحويل مشكلات الأخلاق وأسباب تنوع القواعد الخلقية إلى علم النفس وعلم الاجتماع تميز المدرسة التحليلية المعاصرة، وقد ظهرت واضحة عند "آير" من الفلاسفة التحليليين أما المحور الرئيسى الذى تدور حوله فلسفة رسل الإنسانية وأرائه فى الأخلاق والتربية والسعادة والجنس هى المطالبة بتحقيق حرية الإنسان وسعادته وتحطيم كافة القيود الموضوعة حول حريته، سواء كانت قيوداً اجتماعية أو دينية أو سياسية، الأمر الذى يجعل فلسفته الإنسانية أقرب إلى الفلسفة الوجودية وإلى الاتجاه الإنسانى فرفض الدين وطالب بتحقيق سعادة الإنسان فى الدنيا وحريته على الأرض.

٣ - والحقيقة أن رسل فى دراسته للأخلاق الاجتماعية لم تكن دراسة تحليلية تماماً أو فى كل جوانبها، حيث استخدم التحليل من أجل إعادة التركيب كما تفعل الفلسفات التقليدية، ويمكن القول بأن التحليل الذى استخدمه رسل فى دراسة الأخلاق الاجتماعية، كان من ذلك النوع الذى استخدمه الفلاسفة من أصحاب المذاهب الشاملة سواء من التجريبيين أو من العقليين، والواقع أن هناك صعوبة تفرض نفسها عند تقديم تفسير كامل للفيلسوف المعاصر، وقد عبر عنها رسل نفسه فى دراسته لحكمة الغرب، حيث يقول أن هناك صعوبات خاصة تواجهنا حين نعالج فلسفة الأعوام السبعين أو الثمانين الأخيرة، وذلك أننا ما زلنا قريبين من هذه التطورات إلى حد يصعب علينا معه، أن ننظر عن بعد وبالتجرد المطلوب فالمفكرون الأقدم عهداً قد صمدوا لاختبار التقويم

النقدى الذى تقوم به الأجيال التالية لهم، بمضى الزمن تحدث عملية انتقاء تدريجى تساعد على تيسير مهمة الاختيار، أما فى حالة المفكرين المنتمين للفترة القريبة. فإن مسألة الاختيار تزداد صعوبة، كما تقل فرص الوصول إلى نظرة متوازنة[1]، لذلك قد تظهر تفسيرات جديدة لفيلسوف ما يزال إنتاجه الفلسفى له دوره فى الفكر المعاصر.

(١) برتراند رسل، حكمة الغرب، ترجمة د. فؤاد زكريا، ص ٢٥٩، عالم المعرفة، الكويت، عام ١٩٨٢

المراجـــع

أولا : من مؤلفات رسل :

أ - النصوص الأجنبية :

١ - فلسفتى وكيف تطورت .

B. Russell : My Philosophical Development George Allen, and Unwin, london, 1959

٢ - مشكلات الفلسفة[١] .

B. Russell : The Problemes of Philosophy, Home University Library, 1912.

٣ - الفلسفة الذرية المنطقية "بحث نشر فى مجلة مونست "الجزء ٢٨" سنة ١٩١٩ .

B. Russell : Philosophy of Logical Atomism.

٤ - معرفتنا بالعالم الخارجى .

B. Russell : Our Knowledge of The External World As a Field for Scientific Method in Philosophy, George Allen and Unwin, 1914.

٥ - التصوف والمنطق .

B. Russell : Mysticism and Logic, Longman and Green & Co. 1918.

٦ - موجز الفلسفة .

B. Russell : An Outline of Philosophy (1927) George Allen & Unwin, 1979..

٧ - مقالات فلسفية .

B. Russell : Philosophical Essays (1910) George Allen & Unwin, 1966..

٨ - الدين والعلم .

---

(١) مؤلفات رسل التالية مشكلات الفلسفية ، والفلسفة الذرية المطقة ، ومعرفتنا بالعالم الخارجى ، والتصوف والمنطق ، تم الرجوع إليها من خلال المراجع العربية التى تناولتها بالدراسة

B. Russell : Philgigion and Science (1935) Oxford University Press, U.S, 1982.

٩ - المجتمع الإنسانى فى الأخلاق والسياسة .

B. Russell : Human Society in Ethics and Politics (1945) Ceorge Allen and Unwin.

١٠ - كيف نكسب السعادة .

B. Russell : The Conquest of Happiness (1930) Ceorge Allen ans Unwin, 1975.

١١ - التربية والنظام الاجتماعى .

B. Russell : Education and Social Order (1932) George Allen and Unein, 1977.

١٢ - فى التربية .

B. Russell : On Education (1926) George Allen and Unwin, London, 1976.

١٣ - مقالات خاصة .

B. Russell : Unpopular Wssays, (1950) Ceorge Allen and Unein, London, 1976.

١٤ - الزواج والأخلاق .

B. Russell : Marriage and Morals (1929) George Allen and Unein London, 1976.

ب- الترجمات العربية :

١ - برتراند رسل ، تاريخ الفلسفة الغربية، جـ٣، ترجمة د. محمد فتحى الشيطى، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٢ .

٢ - برتراند رسل ، تاريخ الفلسفة الغربية، جـ٢، ترجمة د. زكى نجيب محمود، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ١٩٦٨ .

٣ - برتراند رسل ، حكمة الغرب، جـ١ ، ترجمة د. فؤاد زكريا، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٣ .

ثانيا : الدراسات حول رسل :

١ - A. D. Ayer : Bertrand Russell, The Viking Press, U.K. 1972.

٢ - د. محمد مهران، فلسفة برتراندرسل، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩ .

٣ - د. زكى نجيب محمود، برتراند رسل، دار المعارف، القاهرة، سلسلة نوابغ الفكر الغربى.

ثالثا : الدراسات العامة فى الفلسفة :

١ - A. D. Ayer : Longuag, Truth and Logic (1936) Pelican Book, 1978.

٢ - د. اسحق رمزى علم النفس الفردى أصوله وتطبيقاته، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦١ .

٣ - اليكسى كاريل، تأملات فى سلوك الحياة، ترجمة د. محمد محمد القصاص، مكتبة مصر، القاهرة.

٤ - د. توفيق الطويل، أسس الفلسفة، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٧ .

٥ - د. توفيق الطويل، الفلسفة الخلقية، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٦٥ .

٦ - د. زكى نجيب محمود، موقف من الميتافيزيقا، دار الشروق، مصر ١٩٨٣ .

٧ - د. زكى نجيب محمود، ثقافتنا فى مواجهة العصر، دار الشروق، القاهرة، ١٩٧٩ .

٨ - د. زكريا إبراهيم، دراسات فى الفلسفة المعاصرة، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٠٦٨ .

٩ - د. زكريا إبراهيم، المشكلة الخلقية، مكتبة مصر، القاهرة ، ١٩٧٥ .

١٠ - د. زكريا إبراهيم، مشكلة الحب، دار الآداب بيروت، ١٩٦٣ .

١١ - د. سيد إسماعيل على، دراسات فى فلسفة التربية، عالم الكتب القاهرة، ١٩٨١ .

١٢ - د. عثمان لبيب فراج، أضواء على الشخصية والصحة العقلية، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٠ .

١٣ - د. فؤاد زكريا، اسبينوزا، دار النهضة العربية، ١٩٦٢ .

١٤ - د. محمود زيدان، مناهج البحث الفلسفى، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧ .

١٥ - د. محمود زيدان: مناهج البحث الفلسفى، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧ .

١٥- د. محمود عطية الإبراشى، علم النفس التربوى، دار الكاتب العربى، للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٠.
١٦- د. محمد منير مرسى، فلسفة التربية إتجاهاتها ومدارسها، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٢.
١٦- د. محمد منير مرسى، فلسفة التربية اتجاهاتها ومدارسها، علام الكتب، القاهرة، ١٩٨٢.
١٧- د. محمد سمير، التربية الأصول الفلسفيةج والنفسية، الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٨.
١٨ · ول ديورانت، مناهج الفلسفة، الجزء الأول، ترجمة د. أحمد فؤاد الأهوانى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٧.
١٩- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٢.